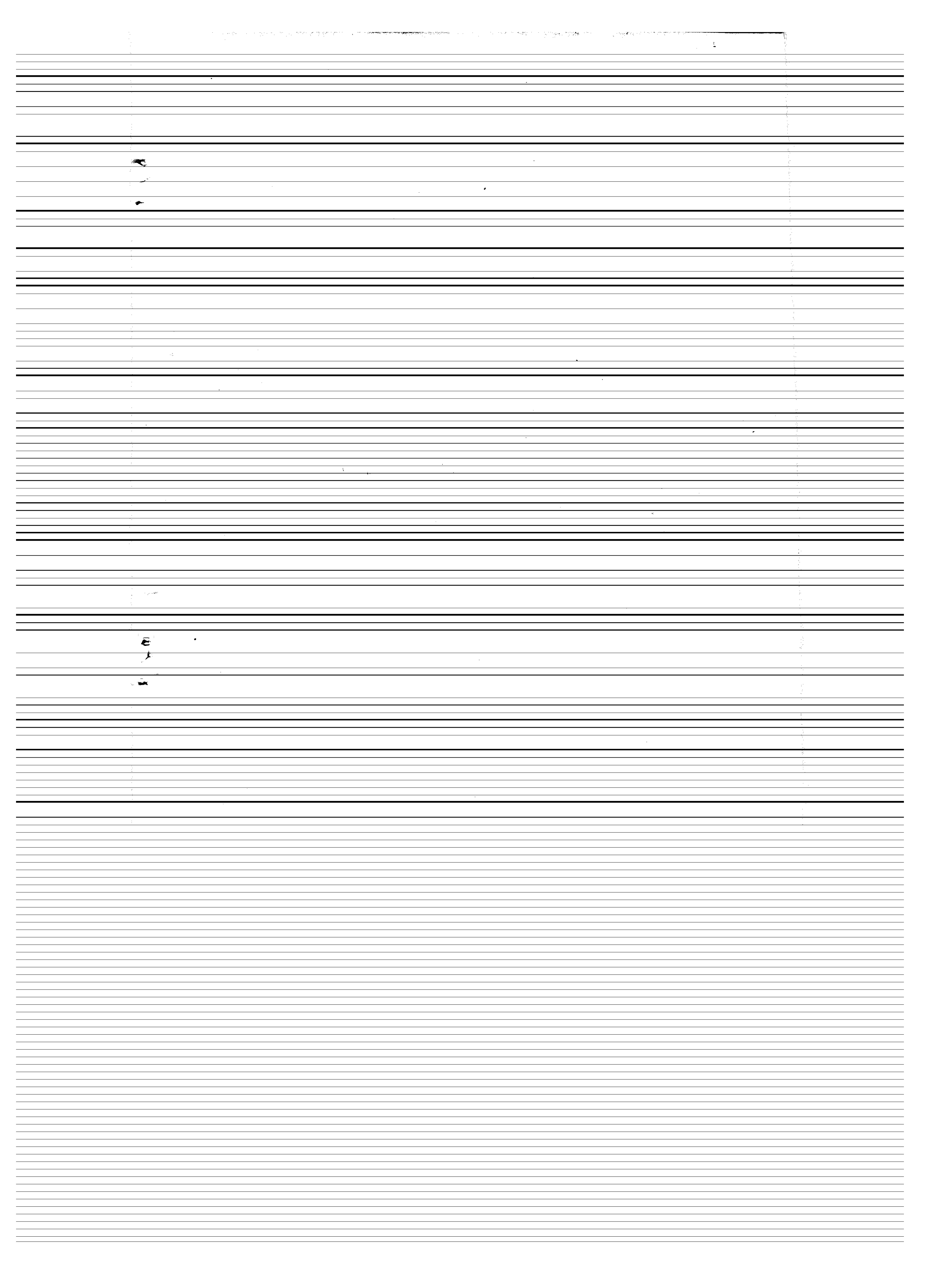
جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

النقد الأدبي القديم
عند العرب

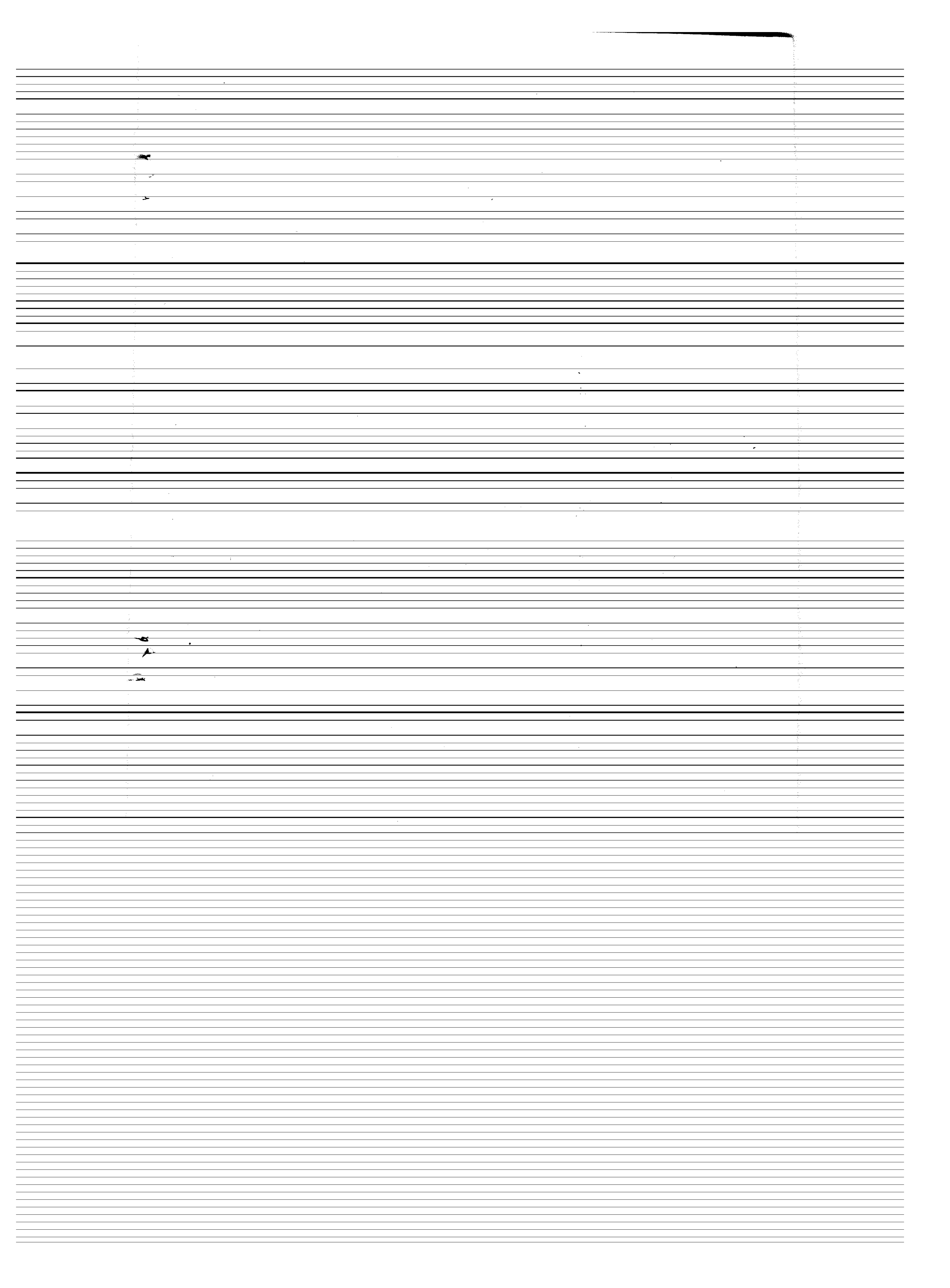
أستاذ دكتور
صلاح عبد التواب
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر

دكتور
محمود رزق حامد
مدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أفصح العرب طراً ، وعلي آله وأصحابه ومن اهتدي بهديه ، وترسم خطى دربه إلي يوم الدين ، رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلي والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه .

وبعـــد ..

فهذه بعض دراسات في النقد الأدبي القديم عند العرب ، أقدمها لمن أراد أن يـــرى ذلك الفن عند العرب وفي تراثهم علها تشبع نهمه ، وتـــشفي غلـــته ، وترشده إلي آفاق رحيبة لهذا الفن وتكشف له عن ملامح تلك الصورة الماضية الزاهية من هذا التراث وتبين له جهود مـــن ســـبقوا فـــي هذا المضمار ، ومن خلفوا لنا تراثاً حافلاً تطور بـــتطور الفكر ، ومتطلبات العصر والفن ، آخذاً بيده إلي صور من نقـــد الـــسابقين فـــي العصور الأولي متوخياً جلاء الأفكار ، وانتقاء المـــنهج الـــذي يوفـــر للقارئ ما يساعده علي تقرير الحقائق بنفسه ويجعله يترقي إلي صقل هذا الذوق .

والله مـــن وراء القـــصد وأسأله سبحانه أن ينفع به ، إنه بكل جميل كفيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمد لله أولاً وأخيراً

المؤلف

دكتور / محمود رزق حامد

— o —

الباب الأول

النقـد الأدبـي النشـأة والتطـور

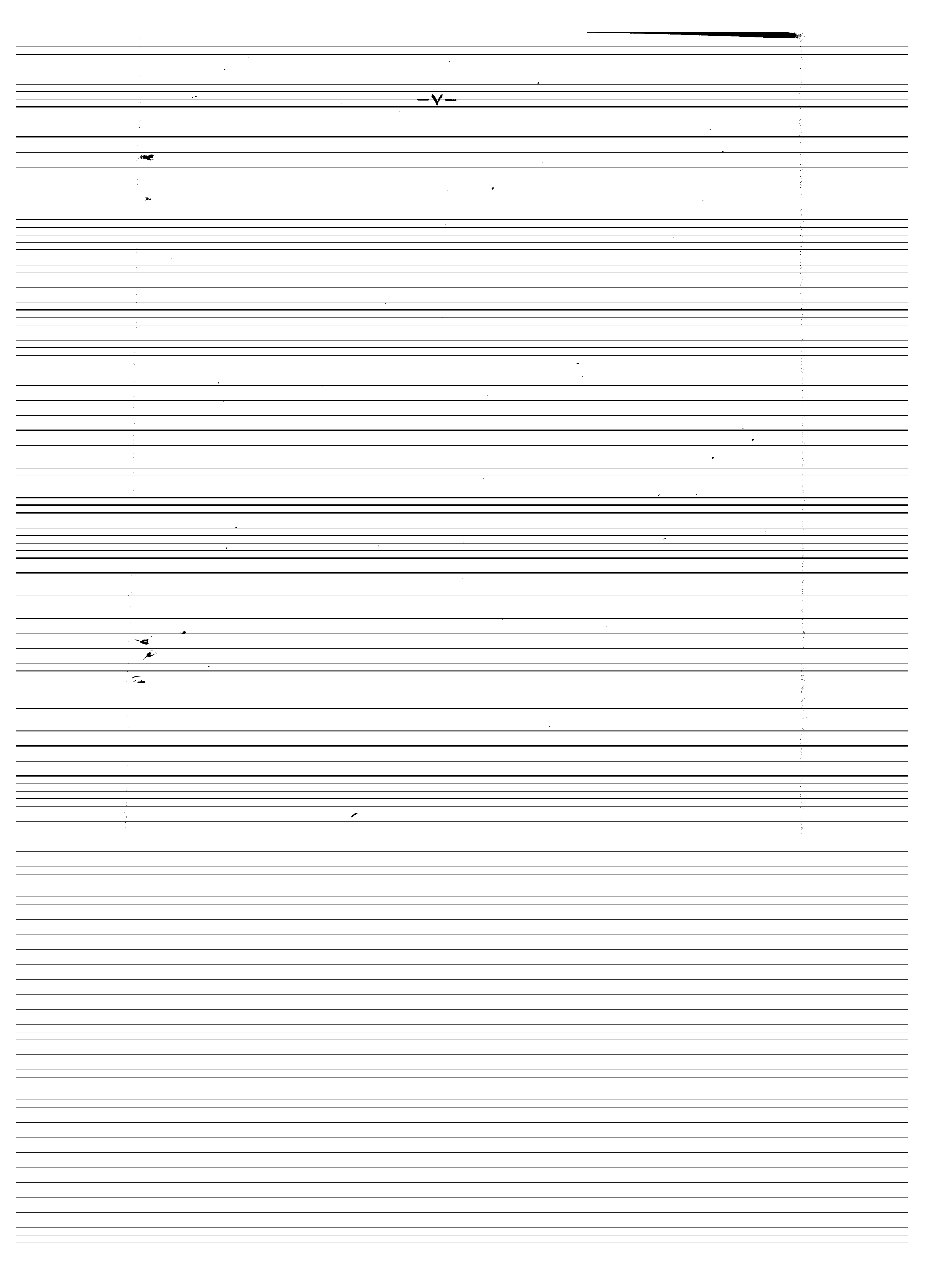
ويشمل أربعة فصول :

الأول : نشـــأة النقــــد وتطـــوره

الثاني : النقد الذاتي والموضوعي ، الصلة بين الأديب والناقد

الثالث : الـــذوق الأدبـــي

الرابع : النقد عند العرب الجاهليين واتجاهاته



الفصل الأول

نشــأة النقـــد وتطـــوره

بـــدأ النقد الأدبي مع بداية الأدب لتعلقه به وهذه حقيقة يؤيدها الواقع الأدبي والحقيقة المنطقية .

- وقـــد عـــرفت اللغة الفصحى بخصائصها المميزة لها قبل الإسلام بأكثـــر من أربعة قرون ، ولا ريب أن البيان بها علي أشكال التعبير المختلفة شعراً وخطابة ، وقصاً قد تطور عبر مراحل عدة وصاحب هـــذا الـــتطور بـــلا شك ذوق نقدي يستطيع أن يساير هذه التجارب الأدبية حتي استوت وينعت .

- وقـــد وردت كلمـــة الـــنقد في اللغة العربية لتدل علي معان عدة واستعمالات مختلفة :

فمن معاينها ما جاء في لسان العرب :

النقـــد : خلاف النسيئة " البيع المؤجل ثمنه " والنقد والتنقاد : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها أنشد سيبويه :

تنفي يداها الحصى في كل هاجـــرة

نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[(١)]

- ومـــن معانـــيها العيب والنقيصة والتجريح فيكون المعني بعكس التقـــريظ والمـــدح ومن حديث أبي الدرداء أنه قال " إن نقدت الناس

---

(١) الدراهيم : جمع درهم أو درهام علي غير قياس . لسان العرب جـــ٦ صـــ ٤٥١٧ ط دار المعارف .

نقدوك ، وإن تركتهم تركوك " أي إن عبتهم وتتبعت عوراتهم قوبلت بمثله .

- ومن معانيها النقر بالأصابع : يقال نقد الشئ ينقده إذا نقره بأصبعه كما تنقر الجوزة .

- ونقر أرنبته " مقدم أنفه " بأصبعه إذا ضربها به قال الشاعر :

وأرنبة لك محمرة يكاد يفطرها نقده

أي يشقها عن دمها :

- ومن معانيها : الاختلاس : يقال نقد الرجل الشئ بنظره ، ونقد إليه أي اختلس النظر نحوه ، وما زال الرجل ينقد نظره إلي الشئ إذا لم يزل ينظر إليه .

- ونقد الطائر الحب ينقده : إذا كان يلقطه واحداً واحداً

- ونقد الطائر الفخ ينقده بمنقاره أي ينقره لينظر ما وراءه من أمن أو خوَف .

- ونقدته الحية أي لدغته .

- هذه المعاني جميعاً لكلمة " نقد " عرفها العرب ، واستعمال العرب لهذه المعاني تلتقي مع معناها الآخر وهو النظر والفحص والتمييز وهي معان تقترب من مدلول الكلمة عندما نضيف إليها الأدب أو توصف به فيقال نقد الأدب ، أو نقد أدبي ، أو النقد الأدبي

وخلاصة القول أن لفظة " نقد " تدور حول معان ثلاثة هي :

١) التمييز ٢) الاختبار ومنه النقر بالأصبع ليختبر جوده الشئ

٣) الإيلام ، ومنه لدغ الحية .

وهـــذه المعاني الثلاثة موجودة في الأدب فالمعني الأول وهو التمييز موجـــود فيه ، كما أن تمييز الدراهم هو فصل صحيحها من زائفها فكذلك نقد الأثر الأدبي هو تمييز وفصل جيده من رديئه ومعلوم أن هذا التمييز والفصل يتطلب خبرة كبيرة بأدوات النقد كالبصيرة الثاقبة واتساع الثقافة والإلمام بعلوم اللغة .

– والمعني الثاني وهو الاختبار موجود في النقد الأدبي أيضاً، فمعناه الفحص الدقيق والتأمل الواعي وتلك، مرحلة تسبق التمييز لأن الناقد قـــبل حكمـــه علي العمل الأدبي بالجودة أو الرداءة ودرجته من كل مـــنهما أو التوســـط أو الامتـــياز أو الانحطاط لابد أن يفحصه أولاً ويتأني في تأمله ليقف علي ما فيه ولتظهر لديه جوانب العمل الأدبي ظهوراً بيناً لا غموض فيه ولا التواء .

– وأما المعني الثالث وهو الإيلام فيقع في الأدب أحياناً ، وذلك عند بيان وذكر ما في الأثر الأدبي من مآخذ وعيوب ومثالب فلا شك أن فـــي ذلـــك أيـــلام شـــديد لدى المنقود ،خاصة إذا كان التركيز علي المعايب دون المحاسن .

- ويمكننا أن نضيف إلي معاني " النقد " : الحكم وهو المحصلة النهائية للنقد ، كما أنها تغطي كل جوانب الأثر الأدبي أو النص فلابد أن يكون الحكم عاملاً وشاملاً .

* فالنقد إذن فحص الآثار الأدبية ودراستها لتمييز جيدها من رديئها والحكم لها أو عليها ، ويكون ذلك من ناقد مستكمل الأداة مع الشرح والبيان والتعليل .

والنقد يقتضي " الإلمام الكافي بالظروف المختلفة التي أسهمت في النص الأدبي المنقود " .

* وقد عرف بعض الباحثين النقد الأدبي بأنه :

" تقويم النص الأدبي بالكشف عما فيه من جمال أو قبح " [١]

فالنقد مهمتان : مهمة التفسير ، ومهمة الحكم .

- والنقد الأدبي تعبير محدث وهو علي حداثته وثيق الصلة في معناه العام بالأصل اللغوي [٢]

---

[١] اتجاهات وآراء في النقد الحديث د / محمد نايل .

[٢] معالم النقد الأدبي د / عبد الرحمن عثمان .

تطور مفهوم النقد واستعمال العرب له

أما استعمال العرب لكلمة النقد فقد جاء متأخراً

ففي القرن الأول : استعملوا " العلم بالشعر " الذي هو أساس ومرتكز عمل الناقد ، فقد روى " ابن سلام الجمحي " في طبقاته عن عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه قوله : " وكان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجــاءت الفــتوحات ، واطمأنــت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر " .

وفي القرن الثاني : " اتجه النقد إلي تمييز الشعر الصحيح من المختلط " المنحول " لأن بعض الرواة وضع في شعر بعض الشعراء ما ليس مــنه – بدافع ما – وصار لا يستطيع القيام بهذه المهمة إلا من عنده علم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم وصار من يقوم بذلك يعرف بالعالم الناقد .

يــروى أبــو الفــرج الأصــفهاني عــن المفضل الضبي المتوفي سنة ١٦٨ هـ وهو بصدد الحديث عنه " حماد الراوية " قوله :

" وقــد ســلط علي الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً فقــيل لــه وكيف ذلك ؟ أيخطئ في روايته أم يلحن ؟ فقال ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلي الصواب ولكنه رجل عالم

بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الـــشعر يشبه مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك ؟ ! " [١]

مـــن خـــلال الحديث السابق للضبي الذي بين فيه جناية حماد علي الشعر يتضح الآتي :

أن ممارسة النقد والبراعة فيه وإتقانه لا تتأتي لكل عالم ، وإنما لكل مـــن كانـــت له بالشعر خبرة وذوق ، ويحفظ الكثير من الأدب حتى تكـــونت عـــنده ملكة الذوق الأدبي فاستطاع الفهم والتفسير والحكم واستطاع أن ينقد الشعر ويحكم عليه .

روي ابـــن ســـلام الجمحـــي المتوفى سنة ٢٣١ هــ قال : قال قائل لخلف الأحمر إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وَأصحابك .

فقـــال خلف : إذا أخذت درهماً فاستحسنته . فقال لك الصراف : إنه رديئ هل ينفعك استحسانك له ؟

ثبت إذن أن الخبرة والدربة والفطنة والصبر علي فحص النصوص هـــي ثمرات للدراسة المتتابعة ، وهي التي تكون ملكة الذوق الأدبي التي هي لازمة للناقد كما أنها تعينه علي العلم بما ينقد .

---

[١] الأغاني جـــ٦ صـــ٨١ ط دار الكتب .

أما في القرن الثالث الهجري : فقد استعملت كلمة النقد مضافة إلي الـــشعر ، وصـــار يفهم منها : تمييز جيد الشعر من رديئه ، وبهذا المعنـــي انفـــصل معني آخر عن النقد وهو معرفة غريبه ومنحوله وإعرابه التي صارت صناعة آخرى غير نقد الشعر .

روى عـــبد القاهر الجرجاني عن صاحب للبحتري الشاعر المتوفي سنة ٢٨٤هـــ هذا القول " رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال : ما هـــذا ؟ قلت : شعر الشنفري ، فقال : وإلي أين تمضي به ؟ فقلت : إلـــي أبي العباس أقرؤه عليه ، فقال : قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ ، ورأيته يـــستجيد شـــيئاً وينـــشده وما هو بأفضل الشعر فقلت له : أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه "[١]

– إذن هـــذا المعني وهذا الاستعمال للنقد ظهراً علي ألسنة الشعراء وصـــار النقد عندهم يعني شيئاً جديداً ، بيد أن هذا الاستعمال لم يرد فـــي كتب الأدب أو النقد التي ظهرت آنذاك فلم يذكره ابن سلام في " طبقات الشعراء " ولم يذكره ابن قتيبه في " الشعر والشعراء " ولم يذكره ابن المعتز في " البديع " .

– أمـــا من ناحية الشعراء فصار الناقد عندهم ذا حاسة فنية بها يفهم دقائق الأشياء ويميز بذوقه الرفيع الأشعار ويبين جيدها ورديئها .

---

[١] دلائل الأعجاز صـــ ١٧٤ تصحيح وشرح وتعليق أحمد مصطفي المراغي ؟ المكتبة المحمودية التجارية .

يقول الشاعر " ابن الرومي " :

يا أبـــا جعفـــر تحكـــم في الشعـــر وما فيـــك آله الحكام

إن نقد الدينـــار إلا علي الصيرف صعب فكيف نقد الكلام

قد رأيناك لست تفرق في الأشعار بين الأرواح والأجسام

- ويقـــول أيضاً يهجو الأخفش في سخرية لاذعة ويلوم من عرض شعره عليه :

قلت لمن قال قد عرضت علي الأخفـــ ش ما قلتـــه ، فمـــا حمـــــده

قصـــدت بالشعـــر حيـــن تعـــرضـــه علي مبيـــن العمـــي إذا انتقده

مـــا قـــال شعـــراً ولا رواه فـــلا ثعلبـــة كـــــان ولا أســــده

فـــإن يقـــل إنـــي رويـــت فالـــدفـــ تـــر جهـــلاً بكل مـــا أعتقـــده

إلي أن قال :

وقـــال قـــولاً بغيـــر معـــرفـــة إفكـــاً ، فمـــا حل إفكه عقـــده

شعـــري شعـــر ، إذا تأمـــلـــــه الإ نسان ذو الفهم والحجي عبده[1]

<u>أما في القرن الرابع</u> : فقد ذاعت كلمة النقد ، وانتشر استعمالها لما لها مـــن مدلـــول أدبي ، وربما رجع الفضل في ذلك إلي مجموعة من العلماء كأبي بكر الصولي في كتابه " أخبار أبي تمام " والآمدي في كـــتابه " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " ، والقاضي علي بن عبد

---

(1) ابن الرومي ، حياته من شعره صـــ ٢٧١ .

العزيز الجرجاني في كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " وأبي هلال العسكري في كتابه " الصناعتين "

وكذلك كتاب " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر ، وكتاب " نقد النثر " الذي نسب إلى قدامة ، بيد أن البحث العلمي أثبت أنه لمؤلفه " الحسن بن وهب " الكاتب .

- **ولما جاء القرن الخامس الهجري** : زاد مفهوم كملة " نقد " تأكيداً ووضوحاً وتمكن رسوخها فضل تمكن ، وذلك بفضل نخبة من المفكرين والنقاد وأهل الفكر والذوق من أمثال الإمام " عبد القاهر الجرجاني " والمرزوقي وابن رشيق صاحب كتاب " العمدة "

بهذا : يمكن أن نقول أن النقد قد اشتهر وذاع بعد القرنين الرابع والخامس في كتب النقد ولكنه وجد قبل ذلك في عديد من الكتب دون التصريح بلفظه أو الإشارة إليه .

الفصل الثاني

النقد الذاتي "الإقناعي" - والموضوعي

١) النقد الذاتي : الإقناعي " التأثري " :

وهو مجرد الاقتصار علي الاستحسان أو الاستهجان في مجال النقد ، أي يبني الناقد نقده استجابة لمشاعره الشخصية النفسية وتذوقه الفني للأثـر الأدبـي دون أن يسبق هذا الاستحسان أو الاستهجان بدراسة فكرية ، أو بتمهيد لهذا الحكم ، وهذا ما سماه المحدثون بالنقد الذاتي أو التأثري وعند القدماء كان يسمى " الإقناعي "

وإذا اتفقنا أن النقد الأدبي هو ذلك التفسير والحكم اللذان يقومان علي أعمدة أساسها التذوق الفني الناجم عن الإحساس المرهف بالجمال ، أو بالقـبح فـي الـنص الأدبي ومكوناته ، والثقافة الفكرية الراقية ومكـوناتها ، وما يضاف إليها وإلي النص من اطلاعات علي النقد الغربـي بلغـته ، أو مترجماً فإن التذوق الفني أو الجمالي للنص لا تـتعدى فائدته الناقد ، كما أن تحليل النصوص الأدبية والحكم عليها مـن غير تذوق قد لا يجدي ، وهذا ما يعني القول بضرورة اجتماع الطرفين عند الناقد .

وفلاسـفة هـذا الفن مثل " تين " الفرنسي ، و " كروتشه " الإيطالي يرون أن الذوق الشخصي لا قيمة له عندهم .

أمـــا أصـــحاب هذا المذهب " مذهب النقد الذاتي " فيرون أن الذوق الشخـــصي هو كل شئ في إدراك ما في العمل الأدبي من جمال أو رداءة ، إذ الذوق عندهم هو الفيصل والمحك الذي تقوم عليه عملية النقد .

والأذواق عندهم لا تعلل ، كما أنها ليست وسيلة من وسائل المعرفة التـــي يمكن أن يسلم بها الغير ، وإنما هي وسيلة إلي إدراكات معينة تـــستثير فـــي شعور المتذوق " الناقد " رضاً أو سخطاً ، وكأني بهم أرادو أن يقولـــوا أن تـــذوق الناقد لما في العمل الأدبي من جمال أو غيره يوفر له اللذة الذاتية حيث يرضى عما يقرأ ، فاستحسان الناقد واستهجانه مردهما إلي الذوق الخاص به في العمل الأدبي .

فهـــذا أبـــو عمـــرو بن العلاء كان يستجيد قول المثقب العبدي في قصيدته التي قال فيها :

فإما أن تكون أخي بحق　　　فأعرف منك غثي من سميني

وإلا فاطرحني واتخذني　　　عـــــدواً اتقـــيك وتتقيـــني

ويقـــول : لـــو كـــان في الشعر مثلها لوجب علي الناس أن يتعلموه فالأبـــيات تـــدل علي لون من الشعر استجيد في معني خاص وهو الصداقة الحقة التي ترقي إلي مرتبة الأخوة كما في قوله " صلي الله عليه وسلم " : " المؤمن مرآة أخيه "

٢) النقد الموضوعي :

وهو أن يجمع الناقد بين تذوقه الجمالي ، وبين الشرح والتعليل لهذا التذوق وهذا الشرح والتعليل مستمدان من دراسة العمل الأدبي ظاهراً وباطناً ، مضافاً إليهما التعرض لصاحب العمل الأدبي والمؤثرات العامة فيها والحكم علي قيمتها وتقدير درجة العمل الأدبي تقديراً فنياً دقيقاً .

- أي أن النقد الموضوعي هو الجمع بين التذوق والتفسير والحكم علي العمل الأدبي مضبوطاً بقواعد مرسومة وقوانين موضوعة اتفق عليها السابقون واتخذوا منها المثال الذي يقاس عليه ، ويقارن به .

- ولا جرم أن هذا الحكم الصادر عن الناقد قد يكون لفتة أدبية تظهر جوانب النص من حسن وقبح وتفصل مقوماته وذلك كالنظر إلي ما فيه من تجربة شعرية قائمة علي الفكر والعاطفة والخيال والإيحاء والصور ، ثم الموازنة بينه وبين نصوص أخري مماثلة لذلك النص في الموضوع ذاته وقد بلغت تلك النصوص درجة عالية من الحذق والجودة .

- ومما يعين الناقد في نقده هذا :

* معرفته بالبيئة العامة والخاصة للأديب الذي أنتج العمل الأدبي .

* كذلك معرفته بالجانب النفسي له .

هذا بالإضافة إلي ثقافة الناقد ، وذوقه ، وملكته السليمة .

وملكـــة الـــذوق هي التي تهدي الناقد إلي مبررات الحسن والقبح أو الجـــودة والـــرداءة ممثلة في صور ، وضوابط ، يفضلها الناقد علي غيرها .

- والنقد الموضوعي تكفي فيه مجرد اللفتة الأدبية التي يلحظها الناقد علـــي النص أو العمل الموجود أمامه . وذلك لأنها تقوم مقام الشرح الطـــويل والتعلـــيل المسهب ، وذلك لأن اللفتة هذه تخرج النقد من الذاتية إلي نطاق الموضوعية مثال :

عارض الكميت الأسدي قصيدة ذي الرمة التي يقول فيها :

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنها من كلي مفرية سرب

واجتمع الكميت ببعض الشعراء وأنشدهم قوله حتي إذا بلغ قوله :

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة وأن تكامل فيها الأنس والشنب [١]

فعقـــد نصيب الشاعر واحدة ، فقال لها الكميت : ماذا تحصي ؟ فقال خطؤك ، لقد باعدت في القول : ما الأنس من الشنب ؟

فنصيب نقد معني بيت الكميت لأنه جمع بين أمرين لا يجتمعان في الـــذهن ولا في الخارج ، ولم يأت بما سمي فيما بعد بمراعاة النظير وإنما أتي بكل كلمة من واد .

خلاصـــة القـــول : أنـــه لا بـــد للناقد من توفر الفطرة السليمة أي " الاســـتعداد الموهوب " ورقة الإحساس والإدراك الصحيح ، وسعة

---

[١] الإنس : ضد الوحشة ، والشنب : برد الإنسان ورقتها وعذوبتها

الخـــيال ، وحـــضور البديهة وهو ما يؤدي إلي وجود السليقة النقية والحاسة النقدية ، والخبرة الأدبية القائمة علي حسن الإدراك وصحة الفهـــم وذلـــك كلـــه مضموماً إليه سعة الثقافة لتؤدي في النهاية إلي الترتيب والتنسيق ، وربط المقدمات بالنتائج والأسباب بالمسببات .

وجديـــر بالذكـــر هـــنا أن كـــل فـــريق من النقاد سواء الذاتيين أو الموضوعيين قد انتصر لمذهبه ، ودافع عنه معللا ذلك بعلل لا تخلو من صواب ، وفي هذا كلام كثير خلاصته : أن جمهور نقاد العرب موضوعيون : بتعبيرنا الحديث " يرون للجمال صفات حقيقية فيه ، وهم في حكمهم علي هذا الجمال يبنون أحكامهم علي ما يعرفونه من تلـــك الصفات ، ويجتهدون في الكشف عن أسباب الجمال إن أدركوا الجمال بأذواقهم ، ولم يكونوا قد وصلوا إلي الكشف عن أسبابه [1]

---

[1] انظر أسس النقد الأدبي عند العرب : أحمد بدوي صـــ ٨٥ وما بعدها .

طريقة النقد " الناقد مع العمل الأدبي "

مـن خلال مطالعات الآداب الرفيعة الرائعة يستطيع الناقد الموهوب الـذي يمـتلك ذوقاً أدبياً رفيعاً وجادت ملكته ، وأثمرت قريحته أن يضع لنفسه خطة في نقده للعمل الأدبي ، هذه الخطة غالباً تقوم علي قـواعد منطقـية اكتـسبها الناقد من كثرة مطالعاته ، وهذه القواعد المنطقية يرتبها الناقد ترتيباً معينا حسب فلسفة معينة يرتضيها هو ، سـواء كانت تسير مع العمل الأدبي كتكوين ، أو كثمرة ، ثم يطبق الـناقد هذه القواعد في نقده تطبيقاً دقيقاً علي نحو لا يكاد يترك شيئاً من جوانب النص الفنية إلا ويفسرها ويحللها ويقدم لها حكماً .

- ولا ينبغـي أن تغـيب عن الأذهان حقيقة مهمة ألا هي أن النقد الأدبـي قد يعجز أمام شرح الحالة الفكرية التي تجعل الأديب يسير في طريق الابتكار الأدبي ، أو شرح الحالة النفسية التي تلم بالأديب وذلـك لأن النقد يسير منقباً في ظلال هذه الملكات ، محاولاً كشف خـباياها ، بيد أنه لا يخلقها خلقاً . وبذلك نري النقد والناقد يمضيان في طريق الشرح والتفسير حتي يصلا إلي نهاية الشوط فتتبين طبيعة النص وجوانبه ، ويضع الناقد حكمه في موضعه الصحيح .

وللنقد الأدبي في وصوله إلي غايته وهدفه طريقان :

__الأول :__ أن يضع الناقد للنص قواعد وضوابط ينقده علي أساسها غير متبع هواه أو فكره في ذلك .

بمعنـــي أن الـــناقد يقبل علي النص الأدبي ليحكم له أو عليه بأحكام ومقاييس نقدية قد اطمأن إليها وارتضاها كنتيجة من نتائج اطلاعاته الـــسابقة ومعرفته التي عاش يعمل للوقوف عليها والوصول إليها ، والتي من خلالها تكونت لديه مقاييس للجمال والقبح كما تكونت عنده درجات لكل منهما

هذا المنهج ذكره الدكتور عبد الرحمن عثمان في كتابه " مذاهب النقد وقــضاياه " وســماه " الــتدرج في النقد من الأدب العام إلي الأدب الخـــاص " وهو ما يسمي المنهج الاستنباطي " الذي يطبق من العام إلــي الخاص " وهو منهج أفلاطون فهو يقرر نظرية المثل ويطبقها علـــي الفنون تطبيقاً منطقياً دقيقاً ثم جاء من بعده أرسطو وطبق تلك النظرية " الاستنباط "

الثانـــي : الموهبة في التعامل مع النص ، بمعني أن يقبل الناقد علي الـــنص لدراسته ومعرفة مزاياه الخاصة التي تضعه في درجة معينة من الجودة أو الرداءة من خلال النظر إلي الأشباه والنظائر ، ويمكن ذلك بدارسة النص من حيث الأسلوب – اللغة والألفاظ وصفاتها من إيحـــاء وجـــزالة وألفة أو ابتذال ، كذلك النوازع والأخيلة والصور والعاطفـــة ومصادرها وسماتها ، ومدي ارتباط ذلك بالتجربة الأدبية وطبيعـــتها وجـــوانب الفكر فيها ، ويقابل الناقد ذلك بنماذج متشابهة فـــيوازن بـــين الـــنص المـــنقود وبين تلك النماذج بحيث تسفر هذه

المـــوازنات عن بيان واضح يؤدي إلي ظهور الفرق ظهوراً واضحاً مع دقة التفسير والبعد عن الهوي في إصدار الأحكام .

- كـــل مـــا ســـبق من حديث عن طريقة النقد نجده في طرق النقد الحـــديث إذ يتناول النقد الحديث العمل الأدبي بالشرح الدقيق الواعي ثم يحكم عليه فيأتي الحكم دقيقاً مقبولاً .

أما النقد القديم فالسمة الغالبة عليه هي الشرح القليل ثم الحكم بالجودة أو القبح ، وذلك لأن النقاد الأوائل تجاوبت أذواقهم مع من يتعاملون معهـــم من قراء وسامعين ولذلك كانوا يجدون في الشرح الموجز ما يغني عن الإطالة .

وهذا الاختلاف والتمايز بين النقد الحديث والنقد القديم هو في الحقيقة ســمة من سمات النقد الحي المتطور مع الزمن والفكر والثقافة وما يؤثـــر فـــيه من عوامل . وهو ما يؤدي إلي اختلاف المناهج النقدية علي مر العصور .

وهنا لا بد من أمور ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار:-

أ) أن ثقافـــة القدماء كان لها طابعها المخصوص ، فقد كانت ملكاتهم المتـــصلة باللغـــة قوية لذا فهموا أسرارها . وثبروا أغوارها ، فلما بدأت حركة امتزاج الثقافات وظهر أثرها ، بدأت المناهج تتكيف مع الثقافة وتطورها

ب) أن مـــن أراد النقد والسير في طريقه فلا بد له من الاطلاع علي مـــا أنتجـــته القرائح في عضورها الأولي من مناهج لأن بعض ما يستحدث من مناهج هو في الحقيقة مبني علي أساس من مناهج سابقة

ج) أن أي اخـــتلاف فـــي منهج من المناهج النقدية لا يقلل من شأن المنهج الآخر خاصة إذا كان فيما مضي من عصور ، لأن ما مضي إنما كان مناسباً لبيئته وزمانه .

- وبعـــد هذا كله ورغم اختلاف طرق النقد ، وكذلك رغم اختلاف الـــنقاد حول عمل أدبي واحد نتيجة لعوامل معينة فإن هناك خطوطاً عامة يشترك فيها النقاد جميعاً وهي :

أولاً : ربط العمل الأدبي " النص " بالعصر الذي قيل فيه ، لما لذلك مـــن أهمـــية تساعد علي دقة النقد ، فصلة العمل بعصره لها أهمية كبيرة إذ بها يقف الناقد علي ثقافة العصر السائدة ، وتاريخه وما فيه مـــن مؤثـــرات علي الأديب من ناحية الفكر والاجتماع وغير ذلك ، وحجم هذه الأثر ، وكذلك البيئة العامة والخاصة للأديب وما تفصح عنه دراسة النص من كشف لطباع الأديب ومزاجه وما يتصل بهذه الأمور ما يكون له الأثر في نتاجه .

ثانـــياً : التحقق والتثبت من نسبة النص إلي قائله ، ومرجع ذلك إما إلـــى الديوان المحقق أو إجماع الرواة الثقاة على صحة نسبة النص إلى صاحبه أو أخذ النص عن صاحبه مشافهة وهى وظيفة الناقد .

وقـــد كثـــرت طرق الحصول على النصوص الصحيحة النسبة إلى قائلـــيها خاصة في العصر الحديث حيث إن الدواوين قد طبعت في الغالـــب فـــي حياة أصحابها وعقدت حولها مناقشات وندوات أدبية تساعد علي صحة نسبة العمل إلي صاحبه من غير صعوبة

ثالـــثاً : الوقـــوف علـــي أمور أثرت في الأديب من قريب كأساتذته وشيوخه وبيئته الخاصة أو من بعيد كالأحداث والثقافات المنتشرة في عصره .

- هـــذه الأمور والطرق تعد تحضيراً للعمل الأدبي الذي سيكون قيد النقد والوقوف عندها ضروري قبل الولوج في نقد العمل الأدبي .

ثم بعد ذلك يقوم الناقد بـــ :

* قـــراءة متأنـــية عدة مرات يصل منها إلي التعمق في فهم النص والتعرف علي كل جوانبه والغاية التي من أجلها قيل .

* ثم شرح النص وتحليله ، وموازنته بغيره من النصوص مما تتفق معـــه فـــي نفس المضمون سواء أكانت سابقة أم لاحقة . من حيث الغايـــة منه ، وأهميته ، ومدي حسنه أورداءته ، وما مضمونه ، هل بلغ غايته منه أم لا ، وهل أجهد نفسه حتي بلغ غايته أو لا والوقوف

مـــع اللفــظ ، والمعني ، ومدي استقامة المعني واعوجاجه ، ومدي مناســبة اللفــظ للمعنـــي ومـــا الـــصور والأخـــيلة التـــي احتواها اللفــظ .... الـــخ ، ممـــا يؤدي في النهاية إلي استجلاء العمل الأدبي من كافة جوانبه .

الصلة بين الأديب والناقد

* الأديب صوت البيئة ، يتأثر بها ويظهر ذلك في أدبه بصورة عامة وتتعكس في كل ما يقول من ألفاظ وأساليب وصور وإيحاءات ، لذا يجـدر بالـناقد الأدبـي أن يكـون علي دراية ببيئة الأديب العامة والخاصة علي السواء ، فلكي يستطيع الناقد فهم كتاب أو قصيدة أو أثر أدبي فلا مناص له من معرفة بيئة المؤلف " الأديب " وذلك لأن كـل أديـب تخـتلف بيئته عن الآخر اختلافاً كلياً ، فالبيئة الجاهلية لامـرئ القيس تختلف عن البيئة الإسلامية لحسان بن ثابت وتختلف عـنهما البيئة العباسية لأبي العتاهية وقد كان لهذا الاختلاف أثره في نـتاج هـؤلاء نوعاً وسمة وموضوعاً ، ومعرفة الناقد بتلك البيئات ضرورية لأن البيئة تؤثر في الأديب وتطبع أسلوبه بواقعها وتوجهه غالـباً نحـو موضوعات بعينها ، ويظهر ذلك ويستبين حينما تؤثر البيئة في نفس الشاعر فيتمخض عن تعبير أدبي من شعر ونثر .

- والسمات التي تفرق بين نتاج أديبين ، أو أدباء ضمتهم بيئة عامة واحـدة إنما تعود لتأثير البيئة الخاصة التي ترسم ملامح هذا التغير بيـنهما ، مضافاً إلي ذلك بعض الثقافات والأمور التي تميز انفعاله بالتجربة وتطبعها بطابع خاص تظهر فيه شخصيته بشكل أو بآخر .

- ومجمـل القـول أن الواقـع الذي يعايشه الأديب تظهر بصماته وتتضح قسماته علي نتاجه الخاص ، فيأتي مختلفاً في بعض جوانبه أو في طريقه تناوله للموضوع .

وعــودة إلي الأدب عبر أزمنته المختلفة لنجد من الأمثلة ما يصحح ويوضح لنا ما سبق من حديث .

- فهـــا هـــو ذا الشعر الجاهلي يتأثر بالبيئة من حوله فيغترف منها الشعراء موضوعاتهم ، وتشبيهاتهم وصورهم ومعانيهم ، وظهر ذلك عـــندهم علـــي نحـــو واضح يمكن تطبيقه علي كثير من الأمثلة في الشعر الجاهلي .

- فـــإذا انتقلنا إلي العصر الإسلامي " صدر الإسلام " وجدنا أشعار الشعراء الذين تعاملوا مع البيئة الإسلامية واعتنقوا الإسلام قد اتخذت طابعاً جديداً في اللغة والأسلوب والعاطفة والصور والموضوعات .

- وهـــا هـــو ذا الأدب الأمـــوي يصطبغ بصبغة البيئة الأموية التي امتلأت بالصراعات السياسية حتي ظهرت في الشعر بصورة جعلت السياسية هي المظهر الأول فيه آنذاك .

- ومـــن ينظـــر إلي الشعر والنثر العباسيين وقد ارتسمت في ذهنه صـــورة البيـــئة العباســـية فإنه يجد أثرها في معاني الأدب وأخيلته وموضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه ...... الخ .

* ويجـــدر بالـــناقد الأدبي بعد وقوفه علي بيئة الأديب أن يقف علي الجانـــب النفسي وأبعاده عنده كما ينبغي له أن يعرف أن الشاعر لا يفـــسر تجربته تفسيراً لأن تفسيرها يحيلها إلي نتف نثرية تنعدم فيها

الحـــرارة والظلال والشعور ، كما أن الناقد يتحول حينئذ إلي مفسر وشارح

- بيد أن الشاعر أو الأديب عموماً يعاني التجربة ويعمل علي نقلها إلـــي ســـامعه أو قارئـــه ، كما عاناها الأديب وهذه التجربة هي في الحقيقة نتيجة لأسباب نفسية بعيدة العمق كثيرة اللبس والتحول .

فإذا اكتفي الناقد بالمعني الواضح فإنه حينئذ يكتفي بالنتيجة الظاهرة دون الأسباب الحقيقية التي أدت إليها لأن المعني الواضح في النص أشبه بدليل ينبغي أن يسعي الناقد لاقتفاء آثار الأديب في رحلته عبر التجـــربة الشعرية ، فمن الضروري أن ينطلق الناقد منه للولوج إلي الأســـباب البعيدة التي ولدت التجربة في نفس الأديب دون أن تتضح في النص بصورة مباشرة جلية بل تضمر وَراء ظاهر المعني .

- ومعني هذا أن يسأل الناقد نفسه : ما الدوافع والبواعث التي دفعت بالأديب إلي قول ما يقول ؟

فهذا بشار يعلن إشادته بالنار معبودة قومه " الفرس " ويفضلها علي الطـــين ، بل ويفضل إبليس علي الإنسان " آدم " مع أنه مسلم إلا أنه اتهم بالزندقة والإلحاد والشعوبية فما الذي حداه لقول ذلك إذ يقول :

إبليس أفضل من أبيكم آدم　　　فتنبهوا يا معشر الفجـــار

إبليس من نار وآدم طينـــة　　　والطين لا يرقي رقي النار

فهـــو يصوب رأي إبليس في عدم سجوده لآدم وعصيانه لأمر ربه حـــين طلـــب إليه السجود ، لأن النار في رأي بشار وأضرابه من الزنادقة خير من الأرض " التراب "

فالوقـــوف علي صفات الأديب وتاريخه وسيرته وكل ما يظن أن له تأثيـــر عليه يساعد الناقد علي الوقوف علي خباياه النفسية ، ويساعد علي فهم النص فلا يكون سطحياً أو مقصوراً علي الأفكار والصور فهـــذه المكـــونات للنص إنما هي قائمة أولا علي أسس تربطها نفس الأديب وما يحيط به .

وممـــا ينبغـــي توفـــره للناقد أيضاً – معرفة أخلاق الأديب وطباعه فـــأخلاق الـــشاعر وطبيعته يولدان الصراع والاحتكاك بينه وبين ما يقـــبل علـــيه من الخارج حتي تتولد الانفعالات والتجارب الشعرية ولذلك وجب علي الناقد أن يعرفها حتي يستضئ بها علي فهم شعره وما فيه من مضاعفات وجدانية .

كمـــا ينبغـــي للناقد أن يكون ذا علم بالأحداث التاريخية ، ومواقعها وأماكـــنها والاتجاهات السياسية والمذهب الأدبي للأدباء ففي ذلك ما يمهـــد لفهـــم النص وكشفه فينبغي عليه أن يقف أمام أسلوب الشاعر ويكـــشف مـــنه الدوافع التي وجتهه نحو هذا الأسلوب للوقوف علي شخـــصيته فالأســـلوب هـــو الأديـــب ، ويختلف الشعراء في ذلك ، فالـــشاعر الجاهلـــي أسلوبه وألفاظه ، وللعباسي ألفاظه وأسلوبه –

وللمقبل على الحياة أسلوبه ، وللرافض للحياة المتشائم أسلوبه .... الخ

جملة القول : أنه يجب علي الناقد أن يقف علي عناصر شخصية الأديب ممثلة في :

- الزمان الذي يولد فيه
- المكان الذي يشب فيه
- الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي تحيط به
- الأبوان اللذان يولد لهما والجو المنزلي الذي يحيط به ونوع التربية التي يصيبها
- نوع التعليم والعادات والتقاليد والمقاييس المختلفة التي تكتنفه .
- الأشخاص الذين يلقاهم ويؤثرون فيه وفي حياته .

كل هذه عوامل تؤثر في صوغ شخصيته في صورة معينة .

الشروط التي يجب توافرها في الناقد

أدرك نقاد الأدب من العرب أن للأدب ثلاث ملكات :

الملكة الأولي : منتجة تتجلي في الشعراء والكتاب والخطباء .

والثانية : ناقدة تستطيع أن تتبين مواضع الجمال في النصوص الأدبية ، وتدل عليها وتبين أسباب هذا الجمال .

والثالثة : متذوقة تدرك بنفسها أو بوساطة الناقد ما في النصوص من حسن وتتلذذ بما تدركه من مظاهر هذا الحسن والجمال .

وبهذا ظهر أن نقاد العرب عرفوا للأدب – ملكات ثلاث : منتجة وناقدة ومتذوقة وعرفوا أن الناقد لابد أن يكون ذا طبع موهوب حتي يستطيع أن يبين للناس ما أدركه هو من أسباب هذا الجمال .

–وعرفوا كذلك أن الناقد في حاجة إلي مقدار من الذكاء ، وهو الذي عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بحدة القريحة والتهاب الطبع في قوله : (وهذا موضع لا يتبين سره إلا من كان ملتهب الطبع حاد القريحة) [١]

– ولم يقتصر نقاد العرب علي الاعتداد بالطبع والذكاء وحدهما في الناقد ، بل رأوا أنه من الضروري له أن يضيف إلي ذلك ثقافة واسعة لا تقف عند شئ بعينه بل تتطلب الإلمام بجملة من الثقافات .

---

[١] دلائل الأعجاز صـ ٣٤٦

- قال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلي الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت علي أبي عبيدة ، فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب[1] فمعرفة الغريب وحدها لا تكفي وكذلك لا يكفي معرفة الإعراب والأيام والأنساب بل لابد من ثقافة شاملة ، ولذلك كان أدباء الكتاب ذوو الثقافة الواسعة هم أهل العلم بالشعر وأحق الناس بتقديره ونقده في رأي الجاحظ

- وإذا كان الأديب المنتج في حاجة قصوي إلي الرواية ، ومعرفة اللغة ، فالناقد كذلك في حاجة إليهما كي لا يخطئ في معرفة الكلمة التي نطق بها الشاعر وحينئذ يكون نقده صحيحاً لا خطأ فيه ، والشعر فيه الأسماء الغربية واللغات المختلفة ، والكلام الوحشي ، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه ولذا اشتدت الحاجة بالناقد إلي الرواية .

- والناقد في حاجة إلي مخالطة الأدب وكثرة مدارسته لأن ذلك يعينه علي العلم بالأدب وتقويم الشعر ، حتي يصبح بصيراً بأموره مدركاً للفروق بين الجيد والأجود ، وبين القوي والضعيف ، مثله في ذلك مثل أصحاب الصناعات الأخري ، فأنهم في حاجة ماسة إلي

---

[1] العمدة : ابن رشيق جـ٢ صـ ٨٤

مخالطـــة موضوع صناعتهم ، حتي يصبحوا أهلا للحكم ، ويصبح قولهم حجة فيما يحكمون عليه .

– ولا يـــسمح نقاد العرب لمن لم تكن عنده هذه الصفات أن يصدر حكماً أو أن يكون لحكمه قيمة عند الناس .

قـــال قائل لخلف الأحمر [١] إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك ، قال له خلف إذا أخذت أنت درهماً فاستحـــسنته ، فقـــال لـــك الـــصراف : إنـــه ردئ ، هـــل يـــنفعك استحسانك له ؟

– وهكـــذا نري أن نقاد العرب رأوا أن النقد طبع لا بد منه للناقد ، وذكـــاء يـــستطيع به أن يحلل العمل الأدبي ، وثقافة تمد هذا الذكاء بأسباب الحكم ، ومخالطة للنصوص الأدبية يستطيع بعدها أن يضع كـــل نـــص في مكانه من مراتب الجودة والإبداع . وهم في ذلك لا يكـــادون يخـــتلفون في النظرة عن نقاد العصر الحديث ، مع دعوة المحدثين إلي توسيع الثقافة وإلحاحهم علي ذلك .

– ويتـــضح من العرض السابق أن الناقد الناجح الهادف بنقده ينبغي أن يتحلي بعدة شروط منها :

١– الطبع الموهوب والملكة الفطرية .

٢– حدة الذكاء وقوة البصيرة ونفاذها .

---

[١] أحد الموالي حفظ الكثير من أدب الجاهلية ، وكان قديراً علي تمييز الأشعار .

٣- سلامة الذوق ، ورهافة الحس .

٤- سعة الثقافة والإلمام بشتي الفنون والآداب والثقافات .

٥- العكوف علي مخالطة الآداب ومدارستها .

٦- التجـــرد من استبداد الهوي الشخصي والميل الذاتي فلا يتعصب لمذهب بعينه ولا لأديب بعينه ولا لعصر بعينه .

٧- صفاء النفس ، وهدوء الطبع واعتدال المزاج .

بهذه الشروط يستطيع الناقد إصدار الأحكام الصائبة الجديرة بالتقدير والاعتبار .

صلة النقد الأدبي بالعلوم الإنسانية

العلوم الإنسانية هي ما كان موضوعها متعلقاً بالإنسان وعلاقته هي الحياة من حيث التأثر بها أو التأثير فيها .

ووظيفة هذه العلوم تفسير الظواهر العامة التي تتصل بالإنسان اتصالا مباشراً أو غير مباشر .

والأدب ظاهرة خاصة بالإنسان فهو تعبيره الذي يصور به الحياة والطبيعة والنفس وما فيها من مشاعر وأحاسيس .

– ولما كان الأدب موضوع النقد الأدبي كانت الصلة إذن وثيقة بين العلوم الإنسانية والنقد الأدبي .

ولكي يكون النقد دقيقاً وموضوعياً وواعياً فلا مفر للناقد من النظر الدقيق في علم النفس والاجتماع والتاريخ والأخلاق والجمال ، وما يمكن أن يكون من العلوم التي تتعلق بالإنسان أو نزعاته ، وقد أسهمت هذه العلوم في التعرف البصير علي السمات الفنية في العمل الأدبي وربطها بأصولها الكامنة في نفس الأديب وذلك لتتحقق دقة التفسير علي أصول من مراعاة الصلة بين الأدب وصاحبه ، وهذا الربط يحقق للناقد التأكد من أصالة الفن وصدقه ، فيحدث بذلك الإقناع والاقتناع وعلي الناقد الأدبي أن يتخذ من ذوقه الأدبي له رائدا في تحديد مدي الاستعانة بهذه العلوم حتي لا يخرج الناقد عن نطاق مهمته إلي التقعيد والتقنين وهما لا يتفقان وطبيعة النقد الأدبي.

أولاً : الدراسات النفسية " علم النفس "

لقد استفاد النقد الأدبي من الدراسات النفسية في :

أ) الـبحث في علمية الإبداع والخلق الأدبي وكيف تتم ، وكشف عنه مـن مقـدار حيوية الشعور ومدي وضوح الرؤية ومعايير الاتزان النفسي الفردي والجماعي ، .... ، .... ، ..... فباستعمال هذه الأشياء يمكن تمييز بعض الأعمال الأدبية عن بعض .

ب) التعـرف علـي شخـصية الأديب وتحديد معالمها علي ضوء الدراسات التي يقوم الناقد بتطبيقها علي الأديب والتعرف علي صدي الأحـداث الخارجـية علي نفسه ومن خلال معرفة الناقد بشخصية الأديب فإنه يربط بينه وبين آثاره .

- فالدراسـة النفسية (لصاحب الانتاج علي هدي النظريات العامة لعلـم النفس ترشدنا إلي النزعات التي تتجاذب نفس الأديب وتهدينا إلـي خلجاته العاطفية وقد تفتح آذاننا للهمس الذي يدور في خاطره ويجمجـم فـي وجدانـه ، وبهذا تكون علي حافة النبع بحيث نسمع جـولان المـاء فـي المسارب الخفية ، ونبصر انسيابه في تجاويفه الدقيقة حتي إذا انبجس النبع وتحدر ماؤه عرفنا عذوبته إن كان عذبا وعلة كدرته إن لم يستسغه الذوق أو انصرف عنه الوارد [1]

---

[1] معالم النقد الأدبي - عبد الرحمن عثمان صـ ٣٩ بتصرف

- والدراسة النفسية بجانب التذوق يمكن أن ترجع لنا الأعمال الأدبية إلي حوافزها الدقيقة في نفس الأديب .

- ثم إن الأدب انفعال نفسي ، ومن خلال عرض أشعار الشاعر مثلاً يمكـــن عرض صورة لحال المشاهد والانفعالات والعواطف عنده ، بـــل إن العاطفـــة تـــنمو وتعمق كلما ازدادت التجربة وكثرت الألفة واشتدت الصلة بين النفس ومصدر الانفعال [١]

[١] خلاصة علم النفس – الأهواني صـــ ٤٠

ثانياً : الدراسات الاجتماعية " علم الاجتماع "

أمـــا صـــلة الدراسات الاجتماعية بالنقد ، فإنها تمد الناقد بما ينير له الطـــريق ويقـــف به علي كثير من المؤثرات التي من خلالها تتضح الـــصلة بـــين الأديب والمجتمع ، فالناقد قد يبحث عن البيئة العامة والخاصـــة للأديـــب ، وبتعبير آخر النشأة والنظم المختلفة والتربية والـــثقافة والعـــادات والتقاليد والصحافة وسائر الظروف الاجتماعية التـــي تؤثـــر علـــي الأديـــب فـــتوجه أدبه نحو نوع بعينه أو لون خاص ..... الخ .

– ومـــن الملحوظ أن طبقات المجتمع تميل كل منها إلي نوع معين مـــن الأدب فالطـــبقة العلـــيا تميل دائما إلي أدب الصفوة والأبراج العاجـــية ، في حين تميل الطبقة الوسطي " المتسلقة – البرجوازية " إلي أدب يمثل المجتمع بما فيه من عادات .

وفـــي الأزمـــات والقهـــر الـــسياسي يعلو صوت الأدب الرمزي ، والإســـقاط والتكنـــية وعدم التصريح ، وهكذا نجد أن النقد له صلة وطيدة بالاجتماع فبه يقف الناقد علي تقاليد وعادات وسائر المعطيات الاجتماعية التي تقف خلف العمل الأدبي وصاحبه .

ثالثاً : الدراسات الجمالية " علم الجمال "

وفـــي مجـــال صـــلة النقد الأدبي بعلم الجمال ذكر الدكتور / محمد الـــسعدي فـــرهود مـــا يفيده النقد من الدراسات الجمالية قائلاً : لقد أسهمت الدراسات الجمالية في توجيه النقد إلي :

- استحـــضار معنـــي الجمال في كل فن ، والجمال في الأدب يعني ويقـــضي أشياء كثيرة منها : الأصالة والصدق والبعد بالأدب والفن عن الزيف والكذب والتصنيع .

- حـــرية الأدب الـــذي هو نتاج الأديب ، و الأديب حر في وجدانه وطـــبعه ومواهبه وحرية الفن ،و حرية الأدب والفن حرية مطلقة ، إنهـــا الحـــرية التي تمثل الجمال في هذا المجال ، الحرية المقرونة بـــالأوزان والقوانين التي بدونها تكون الفوضي التي لا يعرفها الفن تتمثل في الوزن القافية والاختيار والمشيئة وحرية الخيال والانسجام بين هذه العناصر .

كمـــا أســـهمت الدراســـات الجمالية في تغذية الذوق السليم وتنميته وتلوينه بمعارف قد يفيد منها الناقد في تربية ذوقه وصقله .

- ومـــع كون هذه المعارف كثيرة ومبهمة ومتغيرة إلا أنه لا يخفي ثاقب البصر الاستفادة منها، ولكن يجدر بالناقد أن ينتبه إلي ما يلي :

أ- أن يقـــنع فـــي تحقـــيق غايته النقدية بهذا القدر الذي يعينه علي التفـــسير والشرح من العلوم الإنسانية ، أي أنه يأخذ منه بقدر حاجته

إلـــي التفـــسيرات التي يلجأ في هذه العلوم للكشف عنها في الأعمال الأدبـــية وجوانب الفن ، ويستخدم من هذه العلوم بمقدار ما يستشفه الـــناقد فـــي العمل المنقود من صلة بهذه الحياة وبمقدار لا ينقله من جمال النقد إلي مجال العلم . فبعض هذه العلوم متطور لا يقف عند غايـــة وبعـــضها متغير يعتريه التبديل من حين إلي حين فهي ليست وســـائل دائمـــة أو مؤكدة من وسائل التفسير أو الاستدلال فلا تؤخذ منها إلا بمقدار .

– والنقد فن جمالي يعمل علي تقويم الأدب وإصلاح ما فيه من خلل ، والسير بالأدب قدماً إلي الأمام وهذا الفن الجمالي مرتبط بالأذواق والاحساسات اللذين يختلفان باختلاف الزمان والمكان والبيئة ، ومن هذا المنطلق بقي أن نسأل سؤالاً وهو :

هل يمكن تقنين النقد الأدبي ؟

– لما كان النقد فن جمالي مرتبط بالذوق ، والذوق يختلف من زمان لـــزمان ومـــن مكان إلي مكان ، عارض كثير من النقاد واعترضوا علي وضع قواعد للنقد الأدبي وذلك لأن :

الـــنقد مرجعه إلي الذوق ، والذوق يصعب تعليله لاختلاف الأذواق تـــبعاً لاختلاف البيئات والثقافات والأزمنة . بل قد يتعدد الذوق في المكان الواحد والبيئة الواحدة رقياً وانحطاطاً .

- الأدب فن واسع المجال وهو موضوع وحقل النقد الأدبي ، وهذا الحقل متعدد الأجناس فكيف تكون له قواعد محددة .

- رفعة الأدب تأتي من جراء ابتكاره ، وكيف أبدع فيه صاحبه وتمخضت تجربته عن خلق جديد ، فكيف تطبق عليه قواعد كانت قد طبقت علي أدب أقل منه جودة ؟ أو قواعد تصلح لعصر دون لعصر الذي قيل فيه ؟ فلو وضعت للنقد قواعد لكانت بمنزله القيد الذي يكبل عملية التطور والابتكار وهذا لا يتمشى مع الأدب ، لأن الأدب خاضع للعبقرية الشخصية والنبوغ ، وهذه لا شك أمور تختلف من أديب لآخر .

- الأدب تعبير عن الشخصية ، فقد يقرأ الشخص هذا الأدب أو ذاك فيتذوقه ويأنس به ويتمتع به علي عكس آخر ، فكيف ننقل الذوق من شخص لآخر إذن كيف تكون للنقد قواعد ؟ !

- ظهر إذن أنه لا يمكن تقنين النقد ، أما ما جاء من أحكام قريبة من بعضها وقريبة من التقنين قالها هذا الناقد أو ذاك فإنما هي متقاربة تكاد تكون متفق عليها وليست من قبل القوانين ، وهذه الأحكام لا تؤثر فيها اختلاف البيئات والأذواق كالصدق والقوة والعاطفة .... إلخ .

الفصل الثالث

الــــذوق الأدبـــــي

الــذوق هــو المرجع النهائي في كل نقد ، وهو في مفهومه الحسي الأول عــلاج الأشياء باللسان للتعرف علي طعومها ، ثم استخدمت الكلمـــة فـــي عـــلاج الأشياء بالنفس لمعرفة خواصها من الجودة أو الرداءة .

وإنمـــا يأتـــي خطـــر تحكيم الذوق عندما نتخذه ستاراً لعمل الأهواء التحكمـــية التـــي لا تصدر في أحكامها عن نظر في العناصر الفنية وإحـــساس صادق بما فيها من جمال أو قبح ، أو عندما يكون ذوقاً غفلاً لم تجتمع فيه الدربة إلي الطبع .

– والـــذوق الـــذي يعـــتد به هو ذوق ذوي البصر بالشعر وهؤلاء يـــستطيعون عـــادة أن يعللـــوا الكثير من أحكامهم ، وفي التعليل ما يجعلها وسيلة مشروعة من وسائل المعرفة .[١]

– فالـــذوق إذن قـــوة يقـــدر بها الأثر الفني ، أو هو ذلك الاستعداد الفطـــري المكتـــسب الذي يقدر به علي تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا .[٢]

---

[١] النقد المنهجي عند العرب / محمد مندور صـــ ١٠٢ ط نهضة مصر

[٢] في علم النفس ٣ / ٣٤٧ حامد عبد القادر نقلا عن كتاب أصول النقد الأدبـــي صـــ ١٢٠ .

يقـــول ابـــن سلام الجمحي " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كـــسائر أصناف العلم والصناعات " ويؤكد ابن سلام علي ضرورة المران والدربة في تكوين الذوق فيقول : " إن كثرة المدارسة لتعدي إلي العلم " وهذا معناه أن الحكم الأدبي مرجعه إلي الذوق وأعني به ذوق الـــناقد الخبير بأساليب الكلام ، البصير بما تحمله هذه الأساليب مـــن معـــان وأخيلة .... إلخ وقد فطن نقاد العرب القدامى إلي ذلك حتـــى يقـــول الآمدي صاحب " الموازنة " " لن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ومن إذا علم أنصف .[١]

ومـــن الجدير بالذكر أن ننبه إلي ما ذكره الأستاذ / أحمد ضيف في بلاغة العرب من أنه لا يصح أن يبني النقد علي الأذواق الخاصة ، لأن النقد استحسان ما يحبه الإنسان ويميل إليه وهذا غير ما يراد من الـــنقد ، إذ النقد الصحيح تحليل فكر شخص آخر غير القارئ نفسه واندماج الإنسان في نفس غيره ليفهمه بفكره ، ويدرك عقله بعقله ، والذوق تحليل نفس القارئ وفكره لمناسبة ما يقرأ أو بسبب ما يجده هـــو نفـــسه من كلام غيره ، إذ شعور القارئ بسروره ورضاه عما يقـــرأ هو في الحقيقة ناشئ من أنه وجد ما يحبه ويميل إليه ، وذلك شئ من خواص نفسه ، وميولها الذاتية فكأنه إنما وجد فيما يقرأ نفسه لا نفـــس الكاتـــب ، وأعجب بميوله وآرائه لا بميول الكاتب وآرائه

---

[١] الموازنة من صـــ ١٧٦ : ١٨٠

إنـــه وجـــد إنساناً آخر صور نفسه بالصورة التي هي عليها ووجد أفكاره يعبر عنها فهو إذا فهم ذلك فهم نفسه .[١]

والـــذوق الأدبي : ملكة ليست إلا مزيجاً من العاطفة والعقل والحس وعلـــي قدر قوة هذه العناصر ودرجة كل منها يحدث الاختلاف في الأثر المنقود ، فمن قوى عنده عنصر الحس وجدته جياشاً يفضل من الأســـاليب ما يتناسب مع حسه كأسلوب البحتري مثلاً ، ومن غلب عليه عنصر العقل فضل ما عند أبى تمام والمتنبي والمعري ، ومن غلـــبت عـــنده العاطفة فضل ما يناسبها من شعر الحماسة والعتاب وهكذا .

إذن فقـــد اتفق ابن سلام مع غيره من النقاد علي أن الذوق المرجع والمـــلاذ ، إذ يقرر أنه في الأدب لا يمكن أن يحل شئ محل التذوق وكذلك ذهب الآمدي في الموازنة إلي أن مرجع الأمر في الأدب إلي الذوق فإذا سألت الناقد عن علة رأيه في شعر ما فإنه لا يستطيع أن يأتـــيك بعلـــة قاطعـــة ولا حجـــة باهرة ، وتابعهما في هذا القاضي الجرحاني في كتابه " الوساطة " فإنه يرى أيضاً أن الذوق هو مرد الحكم في الأدب وأنه يكتسب بصحة الطبع وإدمان الرياضة .

وكـــذلك ذهـــب ابن طباطبا العلوي في كتابه " عيار الشعر " إلي أن الذوق إذا استحسن أو استهجن فلأسباب في نفس الكلام والشعر .

---

[١] مقدمة لدراسة بلاغة العرب – أحمد ضيف صـــ ٩٢ .

- وهـــذا هـــو رأي المرزوقـــي أيـــضاً الذي يقرر في شرحه علي الحماسة أن الطبع والذوق السليم هو الفيصل فإذا سئل الناقد الحاذق عن علة رأيه في شئ من الأدب لم يمكنه الجواب إلا أن يقول هكذا قضية طبعي .

- ومـــثل ذلـــك ما قاله الإمام عبد القاهر الجرجاني إذ يرى أن النقد الأدبـــي يجـــب أن يكون فناً طليقا لا يخضع إلا لحكم الذوق الأدبي السليم والملكات الفنية .

والذوق الأدبي أقسام :

فمنه الحسن أو السليم أو الصحيح ، كلها مسميات لشيء واحد وهذا الـــذوق هو الصادق في أحكامه البالغ دقته الذي يحسن التفريق بين الأنواع ، وعكسه السقيم أو الفاسد وكذلك منه السلبي والإيجابي .

- والفـــرق بينهما أن السلبي هو الذي يتذوق الأدب دون القدرة علي تعليله

- أمـــا الإيجابي فهو الذي يدرك الجمال ويفرقه من الدمامة ثم يعبر عن ذلك مبيناً مواطنه

وباخـــتلاف الذوق تختلف أحكام النقد اختلافا بيناً ، وبالمثال يتضح المقال :

قال بشار في قصيدة له :

بكراً صاحبي قبل الهجيـــر   إن ذاك النجاح في التبكير

فقـــال له خلف الأحمر : لو قلت يا أبا معاذ " بكراً فالنجاح " مكان " إن ذاك الـــنجاح " لكـــان أفضل ، فأجاب بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت ما قلت ، كما يقول الأعراب والبدويون ولو قلت " بكر فالـــنجاح " لكـــان هذا من كلام المولدين ، ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل إلي معني القصيدة .

– ومـــثال ذلـــك أيضا ما قاله شاعر الأطلال " إبراهيم ناجي " في قصيدته " قلب راقصة " :

أمسيت أشكو الضيق والأينا   مستغرقاً في الفكر والسأم

فمضيت لا أدري إلي أينـــا   ومشيت حيث تجرني قدمي

– فقـــد أعجـــب بهذه الأبيات الناقد عبد اللطيف السحرتي حتي قال عـــنها إنهـــا مـــن مفاخر الشعر العصري ، إنها شعر بديع للسآمان المتحير الذي تجره قدمه لشرود عقله حتي تصبح قدمه هي المسيرة له .

– وقـــال عـــنها أحمد ذكي أبو شادي : هذه القصيدة تتميز بالروح الإنساني الرفاف .

– أمـــا الدكـــتور طه حسين ، فلم ترقه القصيدة ولم تعجبه حتي قال عـــنها : إنهـــا من الكلام المألوف الذي شبع منه الناس ، ثم يبين أن أسلوب الشاعر في قوله " تجرني قدمي " غير موفق لأن الإنسان هو الذي يجر قدمه ، ولا تجره قدمه .

- وتابع عبد الوهاب حمودة من النقاد الدكتور طه حسين في نقده ذلك وقال " إن أول ما يصادفك من هذه الألفاظ الابتذال والسوقية ثم انظر إلي هذه الصورة التي لا تلائم شعرا ولا لغة ، فالقدم لا تجر صاحبها إنما تحمله ، وإنما يجر صاحب القدم قدمه .... الخ

- ولكن السحرتي دافع عن هذه الصورة وهذه الأبيات بقوله " إنها صورة جميلة لا يبلغها شاعر عادي ولا إنسان مهما أوتي من البلاغة أن يركب هذه الصورة .

- إذن يختلف الذوق بين النقاد تبعاً لأشياء كثيرة .

- والذوق منه ما هو عام وما هو خاص

فالعام : ذوق فني يشترك فيه أبناء الجيل الواحد في البيئة الواحدة وفي البلد الواحد لأنهم يتأثرون بظروف مشتركة تطبعهم جميعاً بطابع عام يجمعهم ويؤلف بينهم .

والخاص : ذوق فني يتأثر بهذا الذوق " العام " ولكنه مع ذلك يتأثر بالشخصية الفردية .

ومن أهم العوامل التي تؤثر في الذوق الأدبي وتطبعه بطابع خاص :

١) **البيئة** : البيئة وما تتكون فيه من الخواص الطبيعة والاجتماعية التي توجد في مكان ما فإنها تؤثر فيه آثاراً حسية .

فإذا تغيرت البيئة تغير معها الذوق منشئاً أو ناقداً .

فزهير بدوي خالص وشعره صورة البداوة لفظاً ومعني وخيالا ، أما الأعشي فقد تحضر ولان شعره وقال في اللهو والخمر مما يلائم ذوق الحضر الذين تأثروا بالثقافات والحضارات المختلفة .

- واختلاف البيئات يتبعه اختلاف في الأذواق ، فبينما تجد الرقة والسلاسة عند شعراء الحضر إذ بك تجد الجزالة والخشونة عند شعراء البدو .

يوضح ذلك قصة علي بن الجهم حينما دخل علي الخليفة المتوكل وكان علي قادماً من البادية فمدح الخليفة بقوله " أنت كالكلب ....[1] ومر عليه عام في بغداد وخالط أهل الحضر ثم بعد عام من حياته فيها جاء إلي الخليفة ينشده :

عيون المها بين الرصافة فالجسر

جلبن الهوي من حيث أدري ولا أدري

وهو مثال يوضح أثر البيئة في الذوق الأدبي .

٢) الزمان

والمقصود بهذا العامل مجموعة من العوامل التي تتوفر لجماعة أو لشعب في فترة من الزمان ولا شك أن هذه العوامل في الجاهلية غيرها في الإسلام ، كما تتسم بسمات مختلفة في كل عصر حسب اختلاف الأزمنة ، كما يتكاثر بالاتصال بالأمم الأجنبية التي يتصل

---

[1] شبه الخليفة بالكلب وقصد من التشبيه الوفاء ، إلا أنه تشبيه معيب

بهـــا عن طريق ثقافتها ، ومن هنا يكون الذوق الأدبي حلقة تاريخية تصور خلاصة الجهود الثقافية والتهذيبية لعصر من عصور التاريخ الأدبي .

٣) الجنس

إذا اجـــتمع العاملان السابقان " المكان ، والزمان " في جماعة معينة فـــإنهم يصيرون علي طول الزمن جنساً واحداً ، ولكل جنس طابعه فـــي الـــذوق الأدبـــي ، يقوم علي الخواص المعنوية والجنسية لهذا الأســـلوب ، وقـــد لوحظ من مظاهر ذلك ميل (اللاتتيين) إلي رقة الأســـلوب وجمالـــه ، وإلـــي حرية الأداء وروعة الخيال وذلك في الآداب الفرنـــسية والإيطالـــية ، ثـــم ميل غيرهم إلي الجزالة والقوة والاتجـــاه نحو التجديد ، وذلك واضح في الأدب العربي لما تناولته الاجـــناس المخـــتلفة فظهرت فيه طبائعها المختلفة وأذواقها المتباينة إنـــشاء ونقـــداً ، كما ظهر الذوق الفارسي في بشار بن برد ، وأبي نواس ، وابن المقفع ، وسواهم

٤) التربية :

وهـــي النشأة وسط الأسرة ، وما يتشربه ويتشبع به الناقد من البيئة الخاصـــة المحيطة به كالأسرة التي عاش في كنفها ، والتعليم الذي تلقاه ولهذا أثره في طبع الذوق الأدبي بطابع خاص .

كمـــا يـــتدخل فـــي ذلك كل ما يكتسبه الناقد من الأخلاق والفضائل والخـــلال ، ثم اختلاف الأمزجة وهي " مجموعة الآثار التي تحدثها في الحياة العقلية التغيرات الغذائية والكيماوية التي تحدثها باستمرار في أنسجة الجسم "

– ومـــن الأمزجة ما هو دموي ، وما هو سوداوي ، كما تدخل في ذلـــك المجـــال أيـــضا المجالات النفسية التي تستأثر ببعض النفوس فهناك الزاهد ، وذاك الصوفي ، وذاك الحليم ، إلي غير ذلك ، ولكل واحد من هؤلاء ذوق خاص .

والسؤال : كيف يتكون الذوق الأدبي السليم ؟

والإجابة علي هذا السؤال تكون كالآتي :

الذوق الأدبي لا يمكن خلقه في نفوس لم تمنح تلك الهبة من أساسها ولكـــن لابد من أساس لذلك، الذوق وتلك الهبة في النفس حتي يمكن بالممارســـة والمعايشة للألوان الأدبية من شعر أو نثر أن تنمو هذه الملكة .

وأما ملكة النقد فإنه يمكن اكتسابها بطول الممارسة والمران والمثابرة والتطبـــيق بجانب كل ما سبق من العوامل الأخري ، والنقد الأدبي يتكئ علي الذوق بالإضافة إلي قوانينه الأخري ، ومن هنا نقول ، إن الدارســـة الأدبـــية عـــند الموهوبين لها أثرها في توليد الثمرة حتي الوصول إلي درجة النبوغ والعبقرية "

ولتـــربية الحاســـة الأدبية النقدية عند الإنسان لابد من طرق ينبغي الإلمام بها منها :

* الإلمام بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض وغير ذلك مما يمكن معه استكشاف ما في النص من مظاهر الجمال التي تنتمي إلي أصول عربية ، ومدي تحقيق هذه المظاهر وتلك القواعد .

وهـــذه هي النقطة الأولي التي يمكن للإنسان الناقد بعدها من التعامل مـــع الأدب شـــعره ونثـــره مـــع طول الممارسة والإدمان والصبر والنظر الثاقب إلي اللفظة والصياغة " الأسلوب " والفكرة ، وكل ما يـــتعلق بـــالفن الشعري والنثري من جماليات ، والسير في ذلك إلي نهايـــة الشوط ، مع مراعاة كل الممكنات في كل الاتجاهات التي لا تـــصطدم بالفكرة ، وفي ذلك ما يجدي وما يجعل من كل حاسة في الـــناقد قلـــباً ولـــساناً ، كما أن في التربية ما يعمل علي رقي الذوق الأدبـــي وطبعه في المرء علي أحسن حال ، وفيها ما يساعدهم علي القدرة علي التعليل لفهم الأدب من صفات البراعة والحسن .

* كما يفيد في تكوين الذوق الأدبي ما ذكره الأستاذ أحمد الشايب في كـــتابه " أصول النقد الأدبي " من أن تكوين الذوق الأدبي السليم يتم بوسيلتين :

أولهما : هي تجنب الردئ من الأدب والمشاهد والنوادي والأشخاص والبيـــئات ، حتـــي لا يصاب الذوق من جراء ذلك بالرداءة أو بشئ منها وهذا عامل سلبي

أما الوسيلة الثانية : فتشمل مجموعة العوامل التي يلجأ إليها الإنسان لتنمـــية الذوق وتعهده ليكون صادق الإدراك مرهف الحس ، مستقيم الحكم ، وهذه الوسيلة تتخذ مظهرين :

أ) عام : وهو الاتصال بالفنون الرفيعة من الأدب والمشاهد والفنون والـــناس والطـــباع الحـــسنة والفعـــال الاجتماعية والخلقية والثقافية الصحيحة والتكامل بين كل هذه الأمور ينتج فهماً وتذوقاً .

ب) خـــاص : وهو الامتزاج بالنماذج الرائعة من الأدب شعره ونثره قراءة وفهماً وتحليلاً ووقوفاً علي الصلات بين عناصر العمل الأدبي وتبيـــين كل ما فيه من صفات وأسباب القوة والجمال ، وتفهم روح الأديـــب وشخصه وعقله ليفيد القارئ من جمال ذلك وصفائه وذوقه مـــن بسط وتطويل مناسبين من حياة الأديب حتي يتم فهم العمل من كل جوانبه .

- فالـــذوق إذن وسيلة لتهذيب النقد ، وهو معين ومساعد علي كثير من المميزات ، وبمداومة ذلك يصل الناقد إلي درجة عالية من الذوق ومن هنا تتكون مقاييس صادقة للجمال والتحليل والنقد السليم .

- وبجانـــب قـــيمة النقد من الناحية السابقة ، فإنه يساعد علي جمال التفسير والتعبير والاقتراح وإختيار النصوص الأدبية الجميلة وتقدير الآثـــار الفنـــية والاستمتاع بما في الكون من جمال وتناسق وانسجام تراه عند الذواقة ، ومحاكاة ذلك في الأفكار والأعمال . [١]

[١] انظر أصول النقد الأدبي . صـــ١٤٣ بتصرف .

الفصل الرابع :

النقد عند العرب الجاهليين

تشبه نشأة النقد عند العرب نشأته عند اليونان ، فقد نشأ – في الأعم الأكثـــر – بـــين الـــشعراء ، وظل علي ذلك حقباً متطاولةِ ، حتي وضـــعت علوم العربية ، فوضعت معها قواعده وأصوله ، ونستطيع أن نلاحـــظ مقدماته الأولي في صناعة الشعر الجاهلي إذ كان يحتفل بـــنظم شعره احتفالاً شديداً ، حتي يرضي الجمهور الذي يستمع إليه حـــين إنـــشاده ، ولم يكن يكتفي بجمهور قبيلته وما ينثره عليه من كلمـــات الثناء والإعجاب ، فقد أمتد بصره إلي أفق أوسع وجمهور أكثر وشهرة أكبر ، فقصد الأسواق ، وتنقل في القبائل .

وفي أخبار الأعشي أنه كان ينشد شعره علي آله موسيقية هي الصنج وكـــان يطـــوف بهـــا بين أحياء الغرب ، وكانت الأحياء وشيوخها يحـــتفلون بـــه ويقـــبلون علـــيه لـــسماعه ويهيـــئون لـــه الهـــدايا والـــصلات ، ولا نـــرتاب فـــي أن مـــن كانوا يستمعون إليه كانوا يـــستعيدون – فـــي حضرته – ما ينشده مراراً ، وأنهم كانوا – إذا رحل – يتحدثون عنه وعن شعره ، فيتعصب بعضهم له ، ويتعصب بعـــضهم عليه مؤثراً ومفضلاً شعراء قبيلته ، وكذلك كانِ شأنهم في الأســـواق حين يستمعون إلي ما ينشد الشعراء ، فيظهر فريق منهم إعجاباً ، ويظهر فريق سخرية واستخفافاً .

ولعل هذه هي أول صورة لتقدير الجماهير للأدب وتقويمه ، وبروزها في العصر الجاهلي يدل علي رقي الذوق حينئذ ، وقد اندفع الشاعر يحاول إرضاء هذا الذوق وأن يقع منه موقع استحسان .

وربما كان ذلك السبب الحقيقي في وقوفه بشعره عند موضوعات بعينها ، بل عند معان وألفاظ بعينها حتي ليقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معارا أو معاداً من لفظنا مكرورا

فهو مقيد بأسلوب فني يتبعه ويقلده ، وهو لا يستطيع أن ينحرف عنه فلابد له حين ينظم قصيدة أو مطولة من أن يستهلها بالبكاء علي الديار والأطلال ، ثم يتحدث عن رحلته في الصحراء ويصف أثناء ذلك ناقته ، ثم يخرج إلي غرضه من مديح وغير مديح وهو لا يصنع ذلك حراً ، فلابد له من التمسك بالمعاني والصيغ الثابتة التي يدور فيها الشعراء من قبله ومن حوله حتي لا ينصرف جمهور السامعين عنه ، وحتي يبلغ من التأثير فيهم ما يريد . [1]

كذلك كان الشاعر الجاهلي يحاول أن يوفر في شعره كثيراً من " القيم الصوتية والتصويرية وكان يلقي عناءً شديداً في هذا التوفير إذ نراه يتقيد بقيود كثيرة ، لا تقف عند الموسيقي والتصوير ، بل تتعدي ذلك إلي الموضوعات والألفاظ والمعاني ، وقد عبر عن هذا الجانب في أشعاره "

---

[1] النقد / شوقي ضيف صـ٢١ ط دار المعارف ط الخامسة

يقول أمرؤ القيس :

عوجا علي الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما بكي ابن خذام[١]

وقول زهير السابق : ما أرانا نقول إلا معارا ،

ويقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم [٢]

وما يقوله امرؤ القيس من أنه يريد أنه يبكي كما بكي ابن خذام ، وما يقوله زهير من أن الشعراء يبدئون ويعيدون في ألفاظهم ، وما يقوله عنترة من أن نهج الشعراء في قصائدهم مطرد علي وتيرة واحدة ، كـل ذلـك دليل علي أن الشاعر القديم كان يأخذ فنه بقيود ورسوم كثيرة في اللفظ والموضوع والنهج العام .

ومن يرجع إلي القصائد الجاهلية الطويلة ويترك المقطعات القصيرة يلاحظ في وضوح وجلاء أنها تأخذ نمطاً معيناً في التعبير والأداء ، وكأنمـا العصر الجاهلي نفسه هو الذي أعد " للقصيدة التقليدية " عند العـرب قـصيدة المدح والهجاء ، فإن الشعراء كانوا يحرصون في كثيـر من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي علي أسلوب موروث فيها، إذ نـراها تبـتدأ عادة بوصف الأطلال وبكاء الدمن ، ثم تنتقل إلي

---

(١) عوجا : اعطفا . المحيل :الذي أتي عليه حول . ابن خذام : شاعر قديم يقال أنه بكي الديار قبل امرئ القيس .

(٢) أي لم يترك الشعراء شيئاً إلا ترنموا به وتغنوا به .

وصـــف رحـــلات الشاعر في الصحراء ، وحينئذ يصف ناقته التي تملئ حسه ونفسه وصفاً دقيقاً ثم يخرج من هذا الموضوع المعين إلي مدح وهجاء أو غيرهما ، واستقرت تلك " الطريقة التقليدية في الشعر العربي ، وثبتت أصولها في قصائده الطوال علي مر العصور " .

وهذا النمط المعين في صنع المطولات القديمة يدل دلالة قاطعة علي أن صناعة الشعر استوي لها حينذاك غير قليل من القيود والتقاليد ، إذ نـــري القصائد تتحد أنغامها ، وكان عنترة يشكو هذا الاتحاد كما تتحد أساليبها ولغتها وتراكيبها وكما تتحد معانيها وصورها وأخيلتها وكـــان زهيـــر يشكو أيضاً من ذلك ، فما يقول ابن خذام يأخذه عنه أمرؤ القيس ، وما يقوله أمرؤ القيس يأخذه عنه بقية الشعراء ، وإن جد معني في الطريق كوصف الأطلال عند طرفة بن العبد بالوشم[١] أخذه زهير [٢] وغير زهير .

وقـــد تتـــبع النقاد العباسيون هذا الجانب من صناعة الشعر العربي القـــديم ، وهـــو جانب طريف يكشف لنا عن حقيقة الشعر الجاهلي وحقيقة صناعته ، وأنها لم تكن مستوعباً للتجارب الفردية ، بل كانت مقـــيدة بمصطلحات كثيرة لا في اللغة والنحو والعروض فقط بل في

---

[١] **يقول طرفه في مطلع معلقته :**

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

[٢] **يقول زهير في معلقته :**

ودار لها بالرقمتين كأنها ... مراجع وشم في نواشر معصم

الموضوع والمواد التي تكونه ، وما يختاره الشاعر في صنع نماذجه مـــــن أدوات تـــــصويرية أو أســـــلوبية أو معـــــنوية .

كل ما سبق يدل دلالة قاطعة علي أن الشعر الجاهلي قد قطع أشواطاً بعيدة وأزمنة طويلة بين المحو والإثبات والاعوجاج والاستقامة حتى بلـــغ هذه الدرجة من النضج والكمال والاستواء الفني والتكرار وأخذ هذا عن ذاك وزاد هذا علي ذاك .

كما يدل علي أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات القليلة يقـــدمها الرجل بين يدي حاجته ثم زادت شيئاً فشيئاً تبعاً لسنن الكون فـــي الـــتدرج والانتقال والتطور حتى صارت مقطوعات ثم قصائد طويلة .

– ويقـــال إن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع هو " المهلهل بن ربـــيعة التغلبي " في قتل أخيه " كليب وائل " ، حين قتله بنو شيبان حـــيث يقول الجاحظ " (أما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول مـــن نهـــج ســـبيله وسهل الطريق إليه : أمرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة) .

– بـــيد أن هذا الكلام من رأي الجاحظ يحتاج إلي روية وتمهل في قـــبوله بل قد لا نوافقه علي ذلك . إذ تقدم في الكلام السابق أن امرأ القـــيس أخذ عن ابن خذام ، وأن عنترة يشكو من الشعراء قبله الذين أتوا علي كل المعاني فطرقوها ولم يتركوا لها معني يترنم به ويتغني

، وأن زهيرا يشكو من تكرار الكلام واستعارته . وهذا كله يؤكد أن الواقـــع والمألوف يثبتان أنه كانت هناك محاولات جادة في قرض الــشعر ســبقت مرحلة النضج الشعري وأن شعراء فحولا قد سبقوا امرأ القيس والمهلهل إلي قول الشعر ، وأنهم قد مهدوا لهما ولغيرهما الطـــريق إلي اكتمال صورته الفنية عندهم بعدما عاناه الأقدمون من الصعاب والعثار في ذلك .

* وبعـــد هذا كله نستطيع أن نؤكد أيضاً أن النقد قد ارتبط في نشأته بالـــشعر وأن النقد الأدبي في الجاهلية ثابت لا ينكر وذلك بما ركب في طباع الجاهليين ، وما جبلوا عليه من استحسان الجيد والإشادة به واستقباح الرديء والغض منه .

– كما يؤكد ذلك تلك المراحل التي مرت بها القصيدة العربية ، **مـــن الحداء فالسجع فالبيت فالأبيات فالقصائد فالحوليات** ، وهذه الأخيرة لم تنظم دفعة واحدة في فترة محدودة ، وإنما نظمها الشاعر الجاهلي علي دفعات في فترات متباعدة ، ومعني ذلك أنه لم يكن ينظم فحسب بل كان يفكر فيما ينظمه ويختبره ويفحصه قطعة قطعـــة وبيتاً بيتاً ، وما يزال يتأني فيه متخيراً لألفاظه ومعانيه ، ويتركه مدة من الزمن ، ثـــم يعـــود إليه فيعيد النظر في أجزائه ويأخذها بالتهذيب والتنقيح والـــتجويد ، فيصلح فيها ، وقد يحذف بيتاً وقد يزيد آخر ويظل علي ذلك عاماً تاماً حتى تستوي له حوليته أو مطولته منقحه غاية التنقيح.

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمي وابنه كعب والحطيئة ، وسويد بـــن كـــراع وعـــدي بـــن الرقاع ، ويحيي بن علي المنجم ، وقد رأيناهم يسجلون في أشعارهم الجهد الذي يقومون به في تثقيف شعرهم وما يكابدونه من تجويد حتي يحظي بالقبول ويجود لدي الناقدين .

يقول سويد بن كراع :

أبيت بأبواب القوافي كأنمـــــا ** أصادي بها سرباً من الوحش نزعا

أكالئها حتي أعرس بعدمــــا ** يكون سحيراً أو بعيداً فأجمعــــا

أهبت بعز الآبدات فراجعـــت ** طريقاً أملته القصـــــائد مهيعـــا

بعيدة شأو لا يكاد يردهــــا ** لهـــا طــالب حتي يكل ويظلـــعا

إذا خفت أن تروي علي رددتها ** وراء التراقــــي خشية أن تطلعا

وجشمني خوف ابن عفان ردها ** فثقفتها حولا حــريدا ومربعـــاً

وقد كان في نفسي عليها زيادة ** فلم أر إلا أن أطيع وأسمعـــا[1]

وهـــذا كعـــب بن زهير يذكر حاجة الشعر إلي التثقيف والتهذيب ، ويذكر فضله وفضل الحطيئة في هذا المجال يقول :

فمن للقوافي شانها من يحوكها ** إذا ما ثوي كعب وفوز جرول

---

[1] الشعر والشعراء صـــ٨ : أصادي : أخادع ، نزعا جمع نازع من نزعت إلي مرعاها أي حنت إليه ، أكالئها : أراقبها وأحرسها ، أعرس : أنزل آخر الليل : والآبدات : الوحشيات النافرات ، ويقصد بها القوافي الشرود الغريبة ، أملته : ملكته والمهيع : الطريق الواضح الواسع ، الشأو : الغاية ، يظلع : يصيبه العرج . الحريد : الكامل التام . المربع : زمن الربيع .

يقومها حتي تلين متونهـــا ** فيقصر عنها كل ما يتمثـــل[١]

ويذكـــر عـــدي بـــن الرقاع العاملي كيف أنه يعالج المثقف رماحه ويتجشم في ذلك مثل ما يتجشم :

وقصيدة قد بت أجمع بينهـــا ** حتي أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناتـــه ** حتي يقيم ثقافة مـــنادها [٢]

ويتحدث أبو أحمد يحيي بن علي المنجم عما يصنع بشعره وما يقوم به من نقده فيقول :

رب شعر نقدته مثل ما ينقد رأس الصـــيارف الدنيارا

ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظـــه معـــاً أبكـــارا

لو تأتي لقالة الشعر ما أسقط منه حلـــوا به الأشـــعار

إن خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعارا[٣] .

فالكثيـــر مـــن الـــشعراء مـــنذ أقدم العصور ، ينظرون في شعرهم ويتناولونه بالتهذيب والتجويد ، والتنقيح والاختيار ، ومن ثم نقول : إن العرب القدامى قد عرفوا النقد الأدبي وزاولوه عملياً ومارسوه فناً

---

[١] القوافي / القصائد والأشعار ، شانها من يحوكها : ألحق بها العيب من ينسجها ثوي ، فوز : مات ، جرول : الحطيئة

[٢] الشعر والشعراء صـــ٨ ، والميل : المعوج ، السناد : كل عيب في القافية قبل الروي ، والمثقف : من يصنع الرماح ويقومها ، القناة : الرمح ، الثقاف : الآلة التي تقوم بها الرماح ، المناد : المعوج .

[٣] العمدة / ابن رشيق جـــ٢ صـــ١٠٥

خالط طبيعتهم وساقتهم إليه شاعريتهم ، ولعلهم رأوا في ذلك وسيلة لتطوير الفن الشعري ، واستنهاضاً لهمم الشعراء وإذكاء لروح المنافسة بينهم .

فالذي لا شك فيه أن هذه المراحل والخطوات المتسمة بالتأني والتروي والتنقل من منزلة أدني إلي منزلة أعلي إنما تمثل مراجعة نقدية من الشاعر حينا ومن السامع حينا حتي وصلت بالقصيدة إلي وضعها المعروف .

وليس هذا كله إلا نمواً واضحاً لروح نقد عامة سرت بين شعراء الجاهلية حتي يؤثروا في سامعيهم تأثيراً كاملاً ، ولا نصل إلي زهير حتي نجد كتب الأدب تنص علي أنه كان راوية لأوس بن حجر ، أما هو فروي عنه الشعر ابنه كعب كما روي عنه الحطيئة ، وعن الحطيئة روي جميل ، فكان الشاعر المشهور يلزمه تلاميذ يرون عنه شعره وهم ليسوا دائماً من قبيلته ولا من أسرته ، فقد يرحل إليه شباب من قبائل أخري ليتعلموا الشعر علي يديه كما يتعلمون منه كيف يحسنون صنع الشعر ، وكيف يميزون جيده من رديئه . وإنما نزعم هذا الزعم لأنه وصلتنا عن معاصريهم بعض آراء وأحكام نقدية ، وهم بها أولي وأجدر لطبيعة قيامهم علي صناعتهم وتوفرهم علي تعليمها للناشئة من الشعراء . [1]

---

[1] فنون الأدب العربي – الفني التعليمي – النقد / شوقي ضيف صـ ٢٣

معني المذهب في والنقد الأدب

✍ **المذهب الأدبي أو النقدي :**

هو مجموعة من التقاليد والقواعد والأسس يخضع لها الأديب في كل ما يقول وينظم وفي الطريقة التي ينظم بها والموضوعات التي يعالجها وما يتخذها فيها من طرق فنية في التعبير والموسيقي والتصوير والنهج العام .[١]

أو هو عبارة عن مجموعة مبادئ وأسس فنية أو فكرية أو اجتماعية أو نقدية قائمة علي وعي ، يتمسك بها الأديب أو الناقد ويوضح قيمتها وأهدافها ويناضل دونها ، ويوازن بينها وبين مبادئ مذهب آخر . [٢]

أو هو عبارة عن مجموعة مبادئ وأسس فنية يدعو إليها النقاد ويلتزم بها الكتاب في إنتاجهم ، تربط الأدب في شكله ومضمونه بمطالب العصر وتياراته الفكرية ، وهي لدي الداعين إليها والمنتحبين علي مقتضاها بمثابة العقيدة الممثلة لروح العصر ، وهي لذلك ليست مفروضة علي الكتاب والنقاد من خارج نطاق العمل الأدبي ، ومطالب جمهوره المتوجه به إليه .

---

[١] انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي / شوقي ضيف صـ ١٩ بتصرف كبير ط دار المعارف

[٢] انظر الأدب ومذاهبه / محمد مندور صـ ٣٧ بتصرف كبير

* أو هو بعبارة أخري

اتجـــاه فكـــري وفنـــي واجتماعي يعكس روح عصره ويصور مثله ويـــستجيب لحاجاتـــه ويـــشارك في نشاطه ويمثل اتجاهاته ، ويقود إمكانـــياته ، فهو وليد العصر وظروفه ، والعصر هو الذي يفرضه علي كتابه ومفكريه ويوحي به إليهم .

العرب والمذاهب الأدبية

ليس من شك أن الشعر هو أعظم مظاهر الأدب عند العرب ، والذي ينظـــر إليه للوهلة الأولي يتوهم أنه لم يعرف شيئاً من تلك المذاهب الأدبية التي تلاحق ظهورها عند الغرب بدءاً من عصر النهضة حتي اليوم ، ومع ذلك فإنه من السهل أن نلاحظ أن الأدب العربي قد ظهر فـــيه هو الآخر من أقدم عصوره خصائص واتجاهات تميز بها شعر طائفـــة مـــن الـــشعراء المتعاصرين أو المتلاحقين ، كما نلاحظ أن الـــشعر العربي رغم طغيان التقليد عليه قد تطور – علي الأقل في خـــصائص صـــياغته – تطـــوراً كبيراً حتي انتهي إلي ذلك التصنع اللفظي الذي أحاله عبثاً مجرداً من كل قيمة إنسانية حقة .

بل لقد أحدثت بعض قبائل العرب فنوناً شعرية قائمة علي مزاج أو فلـــسفة إنـــسانية خاصة وذلك مثل بني عذرة الذين نحوا في الغزل منحي أنتج ما لا يزال يسمي حتي اليوم **بالـغـــزل العـــذري** .

وبيـــنما كانت تقاليد الشعر الجاهلي تجري علي أن يستقصي الشاعر الأوصـــاف الحسية للمحبوبةِ وينفق جهده في التغني بمواضع جمالها وفتنـــتها ، رأيـــنا الغزل العذري الذي انتشر في الحجاز في العصر الأمـــوي – يتجه اتجاهاً روحياً فيوفر الجهد علي التحدث عن لواعج الحب وتباريح الغرام .

ويكفـــي أن نقارن بين غزل امرئ القيس وغزل أحد العذريين كقيس أو جمـــيل أو كثيـــر ، لـــندرك الـــبون الـــشاسع بـــين الفنـــين وبين الاتجاهين .

ـ كمـــا شهد الأدب العربي القديم بعض المحاولات المذهبية الواعية كمحاولـــة أبـــي نـــواس فـــي الخروج علي تقاليد القصيدة العربية، وبخاصـــة فـــي قـــصائد المديح ، إذ أراد أن يدعو إلي الإقلاع عن استهلالها بوصف الأطلال والناقة والرحلة إلي الممدوح ليحل محلها **وصـف الخمـر والـتغني بنشوتها** ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح ولم تكون مذهـــباً ، لأن أبا نواس نفسه اضطر إلي أن يخضع للتقاليد الشعرية المتوارثة في المدائح لكي يصل إلي رفد ممدوحيه .

وعلي العكس من ذلك ظهر في العصر العباسي مذهب أدبي له كافة الخـــصائص المذهبـــية إذ تـــناوله الأدبـــاء والنقاد بالتحليل النظري وإيـــضاح الخصائص المميزة كما اقتتلوا في الدفاع عنه أو مهاجمته والموازنة بينه وبين تقاليد الشعر المتوارثة التي سموها عندئذ بعمود

الشعر ، وهذا المذهب هو المعروف باسم مذهب **البديع** الذي اعتبر أبو تمام مثلاً له .

وهكـــذا يتــضح كيف أن الشعر العربي القديم لم تظهر فيه اتجاهات مختلفة فحسب ، بل ظهر فيه مذهب أدبي واع بما يفعل ومستند إلي أسس نظرية تحليلية واضحة ، وكلما تقدمت الدراسات الأدبية النقدية فـــي عصرنا الحاضر ازددنا إدراكاً وتمييزاً للاتجاهات والمفارقات الدقيقة التي لم يكن بد من أن تظهر في تاريخ الشعر العربي الطويل وتعــدد بيــئاته وأزمنته ، فضلاً عن تباين طبائع الشعراء الخاصة واختلاف ظروفهم وثقافتهم .

وبالــرغم مـــن كل هذه الحقائق فإننا لا نستطيع أن نزعم أن الأدب العربـــي قد تتابعت فيه مذاهب الأدب المختلفة الواعية المستندة إلي أســس فلــسفية ونقدية واضحة كما حدث في الآداب الغربية ، وهذا شـــئ طبيعـــي ، لأن المذاهب الأدبية العامة لم تأخذ في الظهور في العـــالم الغربي إلا منذ عصر النهضة والبعث العلمي ، أي منذ بدء انتـــشار الثقافة ونمو التفكير البشري ، بعد أن خرجت الإنسانية من ظلام القرون الوسطي بينما ظلت مصر والعالم العربي كله غارقين فـــي ذلـــك الظلام حتي ابتدأت حركة البعث والنهوض متأخرة عند زميلـــتها فـــي العالم الغربي بما يقرب من أربعة قرون . ثم حاولنا جاهدين أن نعوض ما فات وأن نلاحق ركب الإنسانية العام ، آملين

أن نقطع في أوجز وقت ما سبقتنا الإنسانية إلي قطعه من مراحل في القرون الطويلة التي تخلفنا خلالها عن الركب .

الاتجاهات النقدية في الجاهلية

✍ السليقة و الطبع عند نقاد الجاهلية :

كـــان النقد في الجاهلية تقوده الفطرة والذوق والسليقة ، ويتسم بالبعد عـــن المنهجية ، وأول صور النقد في عصر الجاهلية ما عرف من تلـــك المحـــاولات الأولـــية التـــي كانت تحدث بالمواسم والأسواق والمجامع الحافلة ، والمحافل الجامعة ، حيث كان يحضرها الشعراء ويتناشـــدون أشعارهم ويتباهون بجودتها ، بينما يجلس للحكم لهم أو عليهم ، وللفصل فيما بينهم سادة مقدمون ، وعلماء وشعراء ناقدون وكـــان الشعراء ينزلون علي حكمهم ويرضون به ولا ينازعونهم في ذلك ، كما كانت أحكام الحكام من النقاد ذاتية محضة ، يعتمدون فيها علـــي أذواقهم الشخصية دون استناد إلي أسس معروفة ، أو مقاييس مألـــوفة ، وكانـــت هـــذه الأحكـــام التي يصدرونها بالاستحسان أو الاســـتهجان دون تعلـــيل ، فهـــي لا تعتمد إلا علي الذوق والفطرة السليمة .

والمتتـــبع لمـــا وصل إلينا وما قدمته لنا مصادر التراث العربي من شواهد نقدية عن هذا العصر يدرك عن طريق الاستقراء أن النقد في العصر الجاهلي قد دار في اتجاهات عدة منها .

١) الجانب اللغوي " الاتجاه اللغوي "

٢) الاتجاه المعنوي " النقد المعنوي "

٣) الاتجاه العروضي " النقد العروضي "

أولاً : الاتجاه اللغوي " النقد اللغوي "

لقـــد كان العربي ذا صلة وثيقة بلغته وبأسرارها وبمدلولات ألفاظها فـــإذا جانـــبه الصواب وابتعد عنه ، واستعمل العربي لفظة في غير موضـــعها لا حقيقة ولا مجازاً ولم يلمح هناك علاقة بين ما وضعت له وما نقلت إليه حينئذ تستطيع أن تقول إن الشاعر العربي قد تورط ووقع تحت طائلة النقد في غفلة منه .

- تروي لنا كتب التاريخ الأدبي أن طرفة بن العبد قد استمع وهو لا يـــزال غلاماً صغيراً إلي المسيب بن علس وهو ينشد إحدي قصائده وقد ألم فيها بوصف بعيره " جمله " علي هذا النحو :

وقد أتناسي الهم عند ادكاره   بناج عليه الصيعرية مكدم[١]

فقـــال طـــرفة " استنوق الجمل" وذلك لأن الشاعر وصف الجمل بما توصـــف به النوق وهي الصيعرية وهي سمة تكون في أعناق النوق خاصة لا الجمال .

ويـــروي أن طرفة : وهو صبي يلعب مع الصبيان . قال هذا القول للـــشاعر الجاهلي المتلمس . فقد ذكروا أن المتلمس مر بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم :

ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلَم

نحييك عن شحط وإن لم تكلم

---

[١] الناجي : البعير السريع في سيره ، مكدم : من الكدمة وهي الوشم

فلما انتهي إلي قوله :

وقد أتناسي الهم عند احتضاره بنا ج عليه الصيعرية مكدم

قال طرفة " استنوق الجمل ، فقال الشاعر : يا غلام ! من أنت ؟

فقـال : طرفة بن العبد فقال الشاعر : اذهب إلي أمك بمؤيدة : أي داهية ، وقيل إن الذي أنشد هذه الأبيات هو عمرو بن كلثوم التغلبي بين يدي عمرو بن هند ملك الحيرة – وعنده طرفة بن العبد .

وسواء أكان النقد موجهاً إلي المسيب أم المتلمس أم عمرو بن كلثوم فإن هذا لا يعنينا بقدر ما يعنينا دلالة هذا النقد علي دقة هذا العربي فـي تحـري الألفـاظ ، وإنكاره علي الشاعر وصفه بعبارة ساخرة معتمداً علي حسه اللغوي في تخطئة الشاعر الذي جانبه الصواب في استعمال اللفظ .

– وفـي هذا النقد نلمس بعض الموضوعية في الحكم ، بيد أنه حكم جزئي لم يحط بالبيت من جميع عناصره ، وإنما اقتصر علي عنصر اللفظ فقط .

ومن النقد اللغوي أيضاً : ما عابه قيس بن معد يكرب – أحد أشراف اليمن – علي الأعشي ، حين مدحه بقصيدته التي جاء فيها :

ونبـأت قيسـاً ولم أبلـه وقـد زعموا ساد أهل اليمن

فعـاب قيس الأعشي باستعمال كلمة – زعموا – في هذا المقام الذي يمدحـه فيه ، ونبهه إلي أن سيادته أهل اليمن ليست زعماً ، فالزعم

– كمـــا يقولـــون – مطية الكذب .فأحس الأعشي بخطئه اللغوي ، فأصلح البيت وإن لم ينفعه إصلاحه – فقال :

ونبأت قيســاً ولــم آته   علي نأيه ســاد أهل اليمن

– ففـــي مـــا تقدم دلالة عَلي أن العربي كان يدرك بفطرته السليمة مـــدي التلاؤم بين الألفاظ ومدلولاتها ، فإذا ابتعدت أو انحرفت عن دلالـــتها عـــد ذلك عيباً وازدراء ، ولما كان الطبع آنئذ سليماً والدقة متوفرة عند العربي قل هذا النوع من النقد وندر .

ثانياً : النقد المعنوي

المعني روح جسمه اللفظ ، فإذا ما ألبست المعاني ألفاظاً لتعبر عنها تعبيـــراً مطابقاً لما وضعت له كان ذلك من خير القول وبليغه ، وقد فطـــن نقـــاد العرب في العصور التالية للعصر الجاهلي لمقاييس نقد المعني الشعري فبدأوا يقيسون المعني بمقاييس شتي منها :

١– الصحة والخطأ   ٢– الابتكار والتقليد

٣– الطرافـــــة   ٤– الوفاء بالمعني

٥– الشرف والصغة .... إلي غير ذلك من المقاييس

بـــيد أن الـــنقد الجاهلي من جهة المعني ، والذي اهتدي إليه العربيُ بذوقـــه الفطـــري ومعارفه يثبت أنه كان حريصاً كل الحرص علي تطويـــر فنه الشعري ، والصعود به إلي مستوي راقٍ يليق بهذا الفن الجميل .

كما أدرك العربي بذوقه الفطري أن اللغة إنما وضعت لتعبر عن كل ما يجيش بصدره وعما يدور حوله في الطبيعة ، لذا فإن الشاعر كان يطمئن ويعجب بنفسه إذا ما طابقت اللغة المعني الذي يريد الإفصاح – أو التعبير عنه مطابقة سليمة ، أما إذا خانه لسانه وابتعدت العبارة عن إصابة الهدف المنوط بها فإنه كان يسخط ويتبرم .

– وقـــد وضـــع النقاد في نقدهم لمعانيهم مقاييس لتحديد الشعر الجيد وهي :

١) الملاءمة بين اللفظ والمعني مع تناسق العبارات واتساقها .
٢) النظر في جودة الشعر من حيث أدائه ووظيفته الجمالية .
٣) النظر في المبالغة ومدي ملاءمتها للطبع الجاهلي .
٤) الموازنة بين نموذجين شعريين والحكم لأحدهما علي الآخر .

وعن طريق الأمثلة والنماذج التي أوردتها كتب الأدب سنمضي في شرح تلك المقاييس .

ا) **الملائمة بين اللفظ والمعني** : لا ريب أن ملاحظات الشعراء الجاهليـــين لـــم تـــصلنا كاملة ، ولكن الدلائل كلها تدل علي كثرتها وخاصـــة عـــند الـــرواة المعلمين منهم ، بل لقد تحول بعض هؤلاء المعلمـــين إلي نقاد يفرضون أنفسهم علي الشعراء ، وأهم من عرف بـــذلك النابغة الذبياني فقد كانت تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارهم فمن نوه به طار ذكره

فـــي الآفاق – وكان الشعراء ينزلون علي حكمه ولا يردون له قولاً وذلـــك لخبـــرته وتجاربه ونظره الثاقب ومكانته في دولة القريض ، واجـــتماع العرب علي الرضا بآرائه وقضائه بين الشعراء يدل علي عـــناية العرب الجاهليين بالنقد واتخاذه وسيلة إلي تطوير فن الشعر ومن عرض عليه شعره فحكم بينهم الأعشي ، والخنساء وحسان بن ثابت وقد اجتمعوا عليه بعكاظ . فأنشده الأعشي " ميمون بن قيس " قصيدته الطويلة المشهورة في المدح التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي استهلها بقوله :

ألم تسأل الريح الجديد التكلما بمدافع أشداخ فبرقة أظلما

وفيها يقول :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني مخـــرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما[1]

ثـــم أنـــشدته الخنـــساء بنت عمرو من قولها في رثاء أخيها صخر قصيدتها التي مطلعها :

قذي بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت مذ خلت من أهلها الدار

---

[1] العنقاء : هو ثعلبة الجد البعيد للأوس والخزرج ، ويريد بالمخرق هنا الحارث بن جبلة ملك الغساسنة المشهور في الجاهلية .

فما انتهت إلي قولها :

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

قال النابغة : والله لولا أن أبا بصير " الأعشي " أنشدني قبلك ، لقلت إنك أشعر من بالسوق "

فقد أشاد النابغة بالأعشي ثم الخنساء ، ومقتضي الحكم أن النابغة قدم الأعشي وأعقبه الخنساء وأهمل شأن حسان قائلاً له : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك " فغضب حسان وقال له : (والله لأنا أشعر منك ومن أبيك) فقبض النابغة علي يده وقال له : يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأي عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

فخنس حسان لقوله [1]

وفي الحقيقة إن نقد النابغة لحسان نقد سديد لأن النابغة تناول فيه مسألتين : أحدهما لفظية والأخري معنوية ، أما اللفظية فإن حساناً لم يجمع الجفنات والأسياف جمعاً يدل علي الكثرة ، والعرب تستحب المبالغة في مثل هذا الموقف حين يفخر الشاعر بالكرم والشجاعة في

---

[1] الأغاني جـ ٩ صـ ٣٤٠ ، والموشح صـ ٦٠

قبيلـــته ، أما المسألة المعنوية ففخره بمن ولدته نسأؤهم ، والعرب لا تفخر بالأبناء وإنما تفخر بالآباء .

ويروي أن النابغة عاب علي حسان أيضاً قوله " الضحى " وقال : لو قـــال " الدجي " لكان أحسن لأن الضيف أكثر ما يكون طروقاً بالليل لا بالـــنهار وأن حاجـــته إلي الرفد في الليل أشد ، وقوله " يقطرن " وقال : لو قال يجرين ، أو يسلن لكان أدعي للشجاعة ، لأن الجري أكثر من القطر ، فالقطر يدل علي أن نيلهم من أعدائهم محدود .

ومـــن ذلك النوع من النقد أن الشماخ بن ضرار الشاعر مدح عرابة أحد أشراف الأوس ، فقال يخاطب ناقته :

إذا بلغتني – وحملت رحلي – عرابة فاشرقي بدم الوتين [١]

فعـــاب عليه أحيحة بن الجلاح ذلك وقال له : بئس المجازاة جازيتها وذلـــك لأن الشاعر يخاطب ناقته ويقول لها إذا بلغتني " أوصلتني " إلي عرابة : فموتي فلم يعد لك فائدة ، لأنه وصل إلي ممدوحه التي ســـيعطيه الكثير وهل هكذا يكون جزاء من أوصله إلي ممدوحه أن يدعو عليه بالموت والهلاك ؟ !

[١] الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه ، واشرقي : من شرق برقيه أي غص .

٢) النظر في جودة الشعر حين أدائه ووظيفته الجمالية

ومعنـــي ذلـــك ألا يلقـــي الـــشاعر شعره جزافاً دون أن يتخير من الإحساس أجوده ومن الشعور أجمله ومن الأوقات أنسبها كي يؤدي الشعر وظيفته المنوطة به ، ويبدو أن الشعراء حينئذ كانوا يتفاخرون بـــشعرهم ،ويتنافـــرون فيه كما يتنافر الأشراف في سؤددهم فكانوا يعرضونه علي المحكمين ليفصلوا بينهم وقد بقيت لنا من ذلك منافرة نرى فيها الزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي يتحاكمون إلي ربيعة بن حذار الأسدي في شعرهم أيهم أشعر وكان ربيعة من عقلاء العرب وحكمائهم .

فقـــال للزبرقان : " أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا تـــرك نيئاً فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر يـــتلألأ فيها البصر كلما أعيد فيها النظر نقص البصر ، وأما أنت يا عـــبدة فـــإن شـــعرك كمـــزادة أحكـــم خـــرزها فـــلا هـــي تقطر ولا تمطر ، وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم .

فـــشعر الزبـــرقان في نظر ربيعة لم ينضج فنياً بعد ، وشعر عمرو يبهـــر السامع للوهلة الأولي فهو يخدع البصر ولكن عند التأمل فيه تبـــرز نواحي ضعفه وقصوره وشعر عبدة قوي محكم لا تهافت فيه ولـــذلك شبهه بالمزادة التي أحكم خرزها فهي تحمل الماء فلا يقطر

منها وشعر المخبل لم يبلغ بعد مرتبة فحول الشعراء ولكنه في الوقت نفسه لم ينحط إلي مهاوي أدعياء الشعر فهو بين المنزلتين وهذه كلها تأويلات لحكم ربيعة ، لأنها أحكام جاءت كلها غامضة فهي لا تخلف وراءهـا شـيئاً دقـيقاً واضحاً ،وإنه من الخطأ أن نطلب من الناقد الجاهلي نقداً دقيقاً ، فحسبه أن يرينا تأثير الشعر والشاعر في نفسه .

– ومـن أمثلة هذا النوع أيضاً موقف النعمان بن المنذر من النابغة الذبياني حين مدحه بقوله :

تراك الأرض إما مت خفا وتحيا إن حييت بها ثقيلاً

فقـال لـه النعمان : هذا بيت إن لم تتبعه بما يوضح معناه كان إلي الهجـاء أقـرب منه إلي المدح ، فأراد ذلك النابغة فعسر عليه فقال للـنعمان : أجلنـي قال : قد أجلتك ثلاثاً فإن أنت اتبعته بما يوضح معـناه فلـك مائة من النوق ، فأتي النابغة زهيراً وقال له البيت كي يجيـزه " أي يكمـل بعده ما يتم معنا فتلكأ زهير في الإجازة وكان كعب بن زهير حاضراً فقال من فوره :

وذاك بأن حللت العز منها فتمنع جانبها أن يزولا

فقال النابغة : جاء بها ورب الكعبة .

مـن هـنا ندرك أن الإبهام في الشعر عجز وعيب ، وأن الوضوح مقياس هام من مقاييس جودة الشعر .

ويدخل في باب جودة الشعر والبحث عن نواحي الجمال فيه ما خلعه النقاد في الجاهلية علي الشعر من وصف موجز مثل

أغزل بيت ، أمدح بيت ، أهجي بيت ، أرثي بيت ....إلخ

فقد قال الأصمعي ، أغزل بيت قالته العرب قول امرئ القيس

وما زرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل (١)

وإن كـــان العلماء قد اختلفوا في ذلك فقال بعضهم بل أغزل بيت هو لعمـــر بن أبي ربيعة أو جميل بن معمر أو للأحوص ـــ بيد أن كل هـــؤلاء كانوا في العهد الإسلامي وما زال كلامنا ينصب علي النقد الجاهلي .

وقالـــوا لما حضرت الحطيئة الوفاة قال : أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول :

يغشون حتي ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقال ثعلب : بل قول الأعشى :

فتي لو يباري الشمس ألقـــت قناعها

أو القمر الساري لألقي المقالدا

أمدح منه (٢)

وقال آخرون غير هذه الأبيات

---

(١) العمدة ابن رشيق جـــ ٢ صـــ ١٢٠ دار الجيل .

(٢) السابق جـــ ٢ صـــ ١٣٩ .

- ويروي عن أبي عمرو الشيباني : أن عمرو بن الحارث الغساني أثني علي قصيدة حسان بن ثابت التي منها :

لله در عصابـــة نادمتهـــم يوماً بجلق في الزمان الأول [١]

وسماها البتارة " فكأنها قد بترت وقطعت المدائح كلها عنده

- كمـــا كان النقاد يلقبون قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها :

بسطـــت رابعـــة الحبـــل لنـــا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

باليتيمة لشدة إعجاب الجاهليين بها فكأنها لم تسبق ولم تلحق بأفضل منها فسموها كذلك

- يقول حسان بن ثابت : قدم النابغة المدينة ، فدخل السوق ، فنزل عن راحلته ثم جثا علي ركبتيه ثم اعتمد علي عصاه وأنشأ يقول :

عـــرفـــت منازلاً بعريتنات فأعلي الجزع للحي المبين

فقلت : هلك الشيخ ، ورأيته قد تبع قافية منكرة ، فمازال ينشد حتي أتـــي علي آخرها ، ثم قال : إلا رجل ينشد ؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده :

أتعرف رسماً كالطراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب

حتـــي فرغ منها فقال النابغة : أنت أشعر الناس يا ابن أخي ، فقال حسان : قد خلني منه وأني لأجد القدرة في نفسي عليهما ، ثم تقدمت

---

[١] جلق / دمشق

فجلست بين يديه ، فقال : أنشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم وكان يعرفني قبل ذلك فأنشدته فقال : (أنت أشعر الناس) [١]

٣) النظر في المبالغة ومدي ملاءمتها للطبع الجاهلي :

حمل الشاعر الجاهلي صوراً عديدة وكثيرة من المبالغة والغلو ، بيد أن النقاد من الجاهليين – بذوقهم الفطري – قد لاءموا بين الطبع والمبالغة ملاءمة كبيرة ، وكذلك بين ما يستريح إليه ذلك الطبع العربي من ألوان تلك المبالغة ، وذلك لعلمهم أن النفس الإنسانية تميل إلي المبالغة والتهويل في كل ما يصدر عنها ، وهي كذلك تجنح إلي الغلو في تصوير أسرار الطبيعة ، فجعلوا الفطرة السليمة هي الضابط المقنن لهذا الغلو وهذه المبالغة .

ولهذا وجدناهم يثنون علي قول عنترة في الكرم وينزلونه منزلاً رفيعاً ومكانة سامية حين يتحدث إلي محبوبته ويقول :

وإذا سكرت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندي وكما علمت شمائلي وتكرمي

– وذلك لأن الكرم لاصق بنفوسهم مختلط بدمائهم ، فالمبالغة فيه محمودة والغلو فيه غير ممقوت لأنه من مكارم أخلاقهم

أما حين يبالغ شاعرهم في غير ما يرضي فيه حاسة أو نزعة ، فإنهم يحسون بالفجوة بين هذا الشاعر وبين بيئتهم ، ويجدون في

---

[١] الأغاني جـ ٣ ص ٨

شعره شيئاً غريباً لم يألفوه في حياتهم ومن أجل هذا وجدناهم ينقدون مـــا تضمنه الشعر من معان غريبة ، فالبيئة العربية بفطرتها تتوخي الـــصدق والقـــرب مـــن الواقع إلي حد كبير ، في حين أنها لا تحبذ المـــبالغة المسرفة ، أو تدعو إلي الإغراق الممقوت ، ولهذا قيل في بيت المهلل الذي يصف فيه وقع السيوف علي الدروع في موقعة :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

إنـــه أكـــذب بيت قالته العرب إذا بين " حجر " وبين مكان الموقعة مسيرة عشرة أيام .

ومـــن ذلك ما جاء في الأثر أن رجلاً قال لزهير : أني سمعتك تقول لهم :

ولأنت أشجع من أسامة إذ دعيت نزال ولج في الذعر

وأنت لا تكذب في شعرك فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال : إني رأيته فتح مدينة وحده وما رأيت أسداً فتحها قط !

فزهيـــر هـــنا تخلص من الموقف والتمس لنفسه مخرجاً من المبالغة إذن دائرة المعقول هي التي تحكمهم .

ولـــذلك نجـــد الـــشعراء قد لجأوا إلي ألفاظ تقربهم من هذه الدائرة. وتخفف من غلواء المبالغة كلفظة : يكاد أو " يوشك " مثلاً .

ولـــذلك فـــإن العـــرب لم تنتقد أوس بن حجر حين وصف السحاب الكثيف بقوله :

دان مسف فويق الأرض هيدبه   يكاد يلمسه من قام بالراح

لأن لفظـــه " يكــاد " جعلت المبالغة مقبولة قريبة من الطبع العربي الذواق ، وحببتها كذلك إلي نفس العربي فاستراح إلي هذا اللون من المبالغة .

٤) الموازنة بين نموذجين شعريين والحكم لأحدهما على الآخر .

روي ابـــن قتيبة الدينوري في كتابه " الشعر والشعراء " في أخبار علقمـــة الفحل وكذلك المرزباني في كتابه " الموشح " تلك الأسطورة التـــي تزعم أن امرأ القيس وعلقمة بن عبدة " علقمة الفحل " تنازعا في الشعر أيهما أشعر واحتكما إلي " أم جندب " زوجة امرئ القيس – ولعلهـــا كانت شاعرة ، فقالت لينظم كل منكما قصيدة يصف فيها فرســـه ولتلتزما وزناً واحداً وقافية واحدة ، فصنع كل منهما قصيدة بائـــية من وزن الطويل ، وأنشداها القصيدتين فقال امرؤ القيس في مطلع قصديته :

خليلي مرا علي أم جندب   نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة في مطلع قصيدته :

ذهبت من الهجران في كل مذهب   ولم يك حقاً كل هذا التجنب

ثم أنشداها جمعياً ، فقالت لزوجها " امرؤ القيس " : علقمة أشعر منك قال : وكيف ذاك ؟ قالت لأنك قلت :

فللسوط ألهوب وللساق درة   وللزجر منه وقع أخرج مهذب [١]

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ، ومريته فأتعبته بساقك

وقال علقمة :

فأدركهن ثانياً من عنانه   يمر كمر الرائح المتحلب [٢]

فـــأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مرأه بساق ولا زجره فلم يتعبه)

فقـــال امـــرؤ القـــيس : ما هو اشعر مني ، ولكنك له وامق (محبة عاشقة) فطلقها فخلفه عليها علقمة " تزوجها " فسمى بذلك " علقمة الفحل "

- (وكل هذه الآراء والأحكام بسيطة فهي ثمرة نقد أولي يعتمد علي الذوق والإحساس الساذج الذي لم يعقد ، وقد يكون أدخل هذه الأحكام فـــي بـــاب النقد حكم زوجة امرئ القيس ومع ذلك فإنها وقفت عند جـــزئية ،وقد يكون علقمة أشعر في هذه الجزئية من زوجها ، ولكن زوجهـــا أشعر منه في القصيدة جميعها علي أن العيب قد يكون في فـــرس امرئ القيس ، فهو وصاحبه إنما يصفان الواقع ، وحتي إذا ســـلمنا لهـــا بأن قصيدة علقمة أجود من قصيدة زوجها فإن ذلك لا

---

(١) الألهوب : اجتهاد الفرس في عدوه وكذلك الدرة ، والأخرج : ذكر النعام وهو الظليم ، ومهذب : مسرع .

(٢) الرائح : سحاب العشي ، المتحلب : المتساقط

يعطـــيها الحق في أن تحكم له حكماً عاماً بتفوقه في شاعريته عليه وأنه أشعر منه)[1] ويبدو أن أم جندب أصدرت حكمها متأثرة بعامل نفـــسي وهـــو بغضها امرئ القيس فقد كان مع حسنه وجماله مفركاً تعافـــه النساء سريع الإرواء بطئ الإفاقة ثقيل الصدر خفيف العجز هذا العامل النفسي جعلها تفضل شعر علقمة علي شعر امرئ القيس

– وفـــي هـــذه الـــرواية نظـــر ممـــا حمل عبد الله بن المعتز علي إنكارها [2]

ثالثاً : الاتجاه العروضي " النقد العروضي "

اهـــتدي العربي قديماً عن طريق حداء الإبل وغيره إلي وحدة إيقاع يـــشعر بها ، وينظم عليها قوله ، ثم استقامت أنغامه واستقرت بعدما اســـتقام الشعر واستوي وتطور ، وأصبحت أنغام الشعر مألوفة لدي ســـمع العربـــي يطمـــأن إلـــيها متي اتسقت وتناسقت ، فإذا اختلفت واضـــطربت نـــبا سمعه وضاق صدره ، وظل يعالج هذا بإحساسه وذوقـــه حتـــي اســـتطاع أن يقـــف علـــي مواطن الضعف والعيب في شعره .

– يذكر الرواة أن أهل الطبقة الأولي من الجاهليين وأشباههم لم يقو مـــنهم إلا الـــنابغة والإقـــواء : هو المخالفة بين حركات الروي في

---

(١) النقد / شوقي ضيف صـــ ٢٥ .

(٢) تاريخ النقد عند العرب / أحمد الشايب صـــ ٢٢ .

القـــصيدة وكـــان ذلك حينما قال قصيدته التي يصف فيها المتجردة زوج النعمان بن المنذر وقد افتتح القصيدة بقوله :

أمن آل مية رائح أو مغتدي   عجلان ذا زاد وغير مزود [١]

زعم البوارح أن رحلتنا غدا   وبذلك خبرنا الغراب الأسود[٢]

ثم قال :

سقط النصيف ولم تزد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليـــد [٣]

بمخضب رخص كـــأن بنانـــه   عنم يكاد من اللطافة يعقد [٤]

وكـــان أهـــل الحجاز كغيرهم يعجبون بالنابغة ويقدمونه ، فلما قدم المديـــنة : عاب أهلها ذلك عليه فلم يأبه له ، فدسوا له جارية تغني شـــعره وقالـــوا لها إذا صرت إلي القافية فرتلي " مدي صوتك " بها فلما مدت صوتها بقافية الأبيات أحس النابغة ما فيها من نشاز ظهر مـــن أخـــتلاف حـــركتها ، فقام من فوره ولم يلبث أن غير الروي المضموم في " الأسود " ويعقد " فقال في الأول :

وبذاك تنعاب الغراب الأسود .

---

[١] أراد النابغة بالزاد هنا التوديع والتسليم.

[٢] البوارح : جمع بارح وهي طيور كانوا يتطيرون بها ويتشاءمون منها ومنها الغراب .

[٣] النصيف : كل ما يغطي الرأس

[٤] المخضب : المصبوغ بالحناء ، الرخص : الناعم ، العنم : شجر بالحجاز له ثمر أحمر مستطيل يشبه به البنان (طرف الأصبع) المخضب .

وقال في الثاني

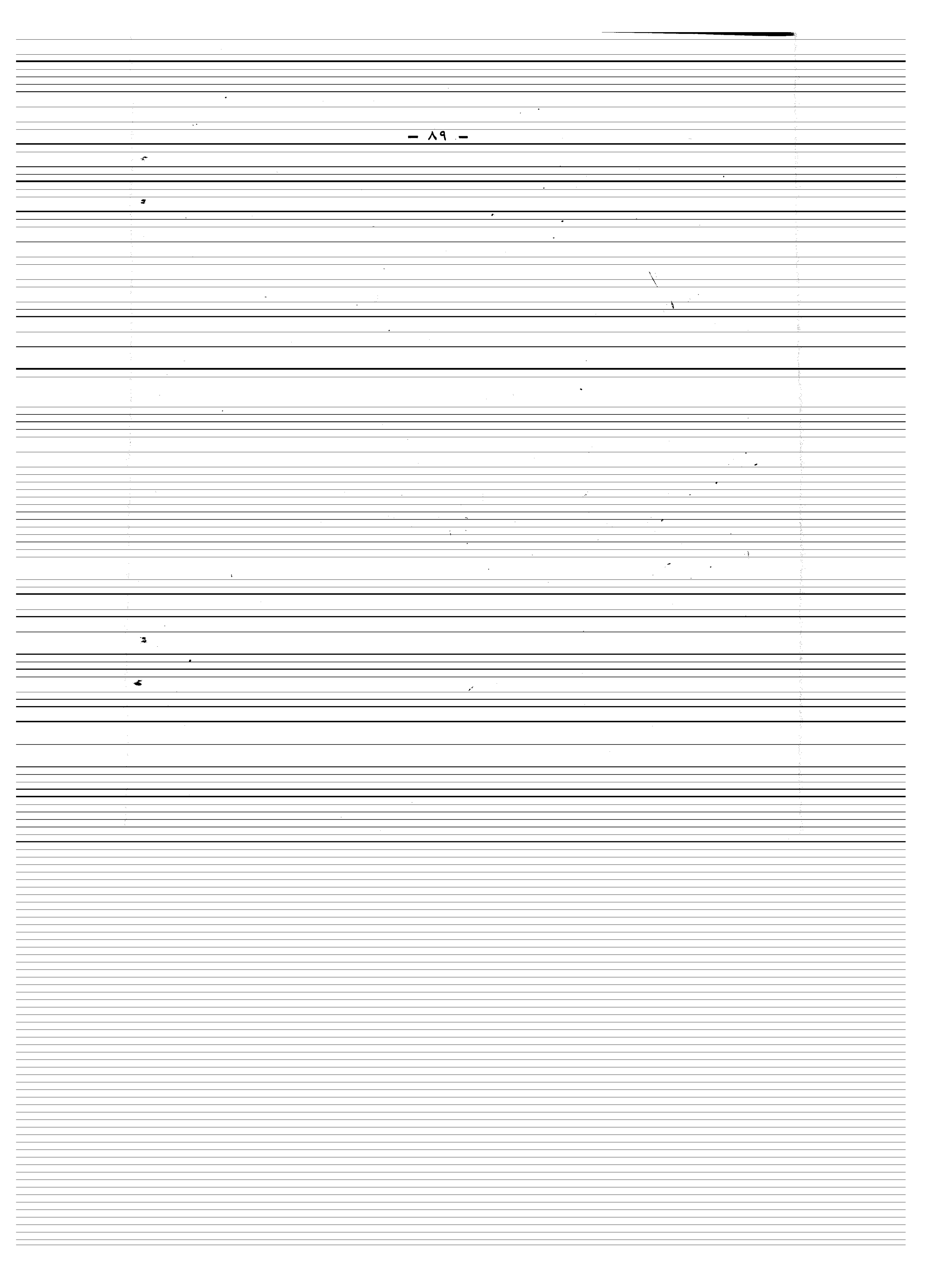
عنـــم علي أغصانـــه لم يعقد

وقـــال : (قدمت الحجاز وفي شعري هنة ، ورحلت عنه وأنا أشعر الناس) [١]

يتـــضح مما سبق من نماذج لأنواع النقد ، أن النقد العربي في مبدأ الأمـــر كان نقداً أولياً فطرياً لا يعتمد إلا علي الذوق الخالص ، ولا يسلك سبيل التحليل والتعليل إلا قليلا ، أما في الغالب فقد كان الرجل يستمع إلي قصيدة من القصائد ، أو إلي بيت أو أبيات منها فيتأثر بها تأثـــراً ما ، فيصدر عليها حكماً عاماً بالجودة والاستحسان أو القبح والاستهجان ، ولا يزيد شيئاً علي ذلك ، وقد عرف العرب هذا اللون مـــن الـــنقد وهذه الطريق في الحكم في العصر الجاهلي وكذلك في عـــصر صـــدر الإسلام فكل النقدات السابقة إنما تعتمد علي السليقة والفطرة ، وتأثر الناقد بهذا الأثر الأدبي .

---

[١] طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي صـــ ٥٥ والموشح صـــ ٣٩ .



الباب الثاني

النقـد فـي صـدر الإسـلام وبنـي أميـة

ويحتوي علي ثلاثة فصول

الفصل الأول : العصر الإسلامي ، عمر بن الخطاب ومذهبه النقدي

الفصل الثاني : النقد في العصر الأموي ، الاتجاهات العامة في نقد الأمويين .

الفصل الثالث : النقائض وأثرها في توجيه النقد .

الفصل الأول

العصر الإسلامي :

يمـــتد هذا العصر من ظهور الإسلام إلي قيام الدولة العباسية ، وفيه تعاقبت ثلاثة أجيال ، وقد تعود مؤرخو الأدب أن يسموا فترة الجيل الأول بعـــصر صـــدر الإسلام وفترة الجيل الثاني والثالث بالعصر الأموي .

وحقـــاً تخـــتلف الفترتان ، فقد نشأ الجيل الأول في الجاهلية ، ولذلك كان اتصاله بها أوضح وأعمق من اتصال الجيلين الثاني والثالث ، بينما يتفوق عليه هذان الجيلان في الاتصال بالحضارات الأجنبية .

وكـــان أهـــم ما تفاعل معه الجيل الأول دين الإسلام الحنيف ، الذي وضـــع له مثالية خلقية جديدة ، وفرض عليه تكاليف دينية ، وارتفع بتفكيـــره فـــي ربـــه ، فقـــد جـــاء الإســـلام والعرب في جاهليتهم يـــبغون ، وفـــي ظلال هذه الجاهلية يعيشون ، فبدلهم الإسلام وأخذ بأيـــديهم إلي عهد جديد له قيم جديدة ومفاهيم مختلفة ، ولكن ما أثر هذا في الشعر والنقد ؟

أما الشعر فإنـــه تأثر بالمثالية الروحية الجديدة ، وخاصة حين كان شـــعراء المديـــنة يناضلون شعراء مكة قبل فتحها ، ويترامون معهم بـــسهام الهجـــاء علي نحو ما هو معروف عن حسان بن ثابت ، فقد

كـــان يستشعر الدين الجديد ويمدح الرسول الكريم – صلي الله عليه وسلم – ودعوته .

ويلقانــــا مـــن حين إلي حين في هذه الفترة – فترة صدر الإسلام – شـــعر فـــيه خشوع وتبتل لله ، أو فيه مثالية الإسلام ، علي أن من الشعراء من ظلوا بعيدين عن روح الإسلام علي نحو ما هو معروف عـــن الحطيـــئة – فقـــد ظل يهجو علي طريقة أسلافه ويقذف الناس بحجارة الهجاء المقذعة ومثله عبدة بن الطبيب وأبو محجن الثقفي إذ نـــراهما ينظمان في الخمر التي حرمها الإسلام ، وحرم معها جملة الآثام التي كان يرتكبها العرب في الجاهلية .

أما النقد فقـــد ظل علي النهج السابق نفسه فهو ما يزال نقداً ذاتياً تأثـــرياً يعـــتمد في أحكامه علي السليقة والفطرة ، ويتخذ من الذوق هاديـــا له فيما يبدي من آراء إلا ما ظهر من نقدات معللة غير أنها كانت نادرة جداً ولذلك إذا زعمنا أن النقد لم يتغير ولم ينشط في هذه الفترة كنا مصيبين فقد شغل العرب عن الشعر بالقرآن والفتوح إلا ما قـــيل فـــي المعـــارك ، وقد كان المشركون يحاربون الله ورسوله ، ويهجـــون المـــسلمين فـــي الأنديـــة والمجالس ويتهاجون بالأشعار والخطـــب واشـــتعلت معـــارك السنان والطعان مع معارك اللسان والبيان .

ودعا رسول الله – صلي الله عليه وسلم – الشعراء من الأنصار إلي المشاركة في هذه المعارك وقال لهم : " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم " فهب نفر من شعراء الأنصار يدافعون عن الإسلام ويذودون عن حياضه.ويشيدون بذكره ، وينشرون من مبادئه ويهجون الكفار والمشركين .

وقد رأينا الرسول – صلي الله عليه وسلم – يستمع إلي الشعر ويستجيده ويستنشده أصحابه ويثيب عليه ، بل وجدناه – صلي الله عليه وسلم – ينقده ويصلح منه وتزخر سيرة المصطفي – صلي الله عليه وسلم – بلمحات رائعة صدرت معبرة عن وجهة نظره في بعض ما أنشد علي مسامعه الشريفة من أشعار ، وبالتأمل في تلك اللمحات نجدها تتلاءم من كل الوجوه مع المنطلق الذي وظف فيه رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ألا وهو النبوة والرسالة ، وكفي بهذا من الرسول تشجيعاً علي النقد ودفعاً له ، وفتحاً لبابه .

وقد وجدنا الشعراء يبدلون من أغراض شعرهم ، فإذا بهم يوجهون فنون قولهم إلي الإشادة بتلك المبادئ الإسلامية التي جاء بها الإسلام ، وتمجيد تلك الفضائل والمكارم التي أقرها ، من الكرم والشجاعة والنجدة وحسن الجوار والتسامح والتواضع والعدل والإحسان المجموعة كلها في " المروءة " وكان شعراء المشركين

يـــتجهون فـــي شعرهم إلي نقض هذه المبادئ ، فقامت المناقضات الشعرية بين الفريقين ، وكان في هذه النهضة الشعرية .

وكان اشتعال نار تلك المناقضات القولية شحذاً لملكة النقد وتوسيعاً لدائرته ، وبذلك خطا النقد الأدبي في هذا العصر خطوة واسعة ، إذ اتسع بهذه النهضة الإسلامية مجاله ، ووجد في هذه الدواعي الجديدة داعــياً لـــه وحافزاً إليه وكان فيما يباشره الرسول – صلي الله عليه وسلم – وأصحابه بعده أعظم تشجيع عليه .

وفي كتب الأدب والتاريخ روايات كثيرة تدل علي أن الرسول الكريم قد استمع إلي الشعر واستنشده ورواه وحفظه وكافأ عليه ونقده ومن ذلك أنه :

(أ) حين سمع قول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال (صلي الله عليه وسلم) : هذا من كلام النبوة .

(ب) قـــال النبـــي (صـــلي الله علـــيه وســـلم) : (إن من البيان لـــسحراً ، وإن مـــن الشعر لحكماً) وقيل لحكمة ، وذلك بعدما سمع بعـــضاً مـــن الـــشعر وأعجـــب بـــه ، فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلي الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حكمة .

ونـــري هنا أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد بني رأيه هذا في الشعر ناظراً إلي ناحتين :

الأولى : ما احتواه من حكمة ومعني حسن

الثانية : ماله من لفظ حسن وأسلوب جميل يأسر النفس ويسبي القلب .

ج) ذكر ابن رشيق في " العمدة " في باب (من قضي له الشعر ومن قضي عليه) قال :

(أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله عليه وسلم قصيدة يقول فيها :

علونا السماء عفة وتكرما [١]   وإنا لنبغي فوق ذلك مظهراً

فغضب النبي (صلي الله عليه وسلم) ، وقال : أين المظهر يا أبا ليلي ؟ فقال الجنة بك يا رسول الله ، فقال له النبي صلي الله عليه وسلم أجل إن شاء الله [٢]

فكأن الرسول قد اطمأن إلي أنه حين عبر بمجد جدوده المتطاول قد انتهي إلي التطلع في ظلال الإسلام إلي ما هو أعظم وأكرم .

ويمضي النابغة فينشد :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر صدرا

[١] ويروي " علونا السماء مجدنا وسناؤنا . كما يروي بلغنا السماء مجدنا وجدودنا "

[٢] العمدة جـ١ صـ ٥٣ .

فيـــزداد ارتياح الرسول (صلي الله عليه وسلم) إذا يري فيما يسمع أثـــراً من آثار وحي الإسلام وهديه ، ويقول له : أجدت لا يفضض الله فاك . [١]

د) وتقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله – صلي الله عليه وسلم – كثيراً ما يقول : أبياتك ، فأقول له :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه

يوماً فتدركه عواقـــب ما جني

يجزيك أو يثني عليك فإن من

أثني عليك بما فعلت كمن جزي [١]

فيقول : صدق يا عائشة " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

هـــــ) ونـــري الرســـول – صلي الله عليه وسلم – يطرب لسماع قـــصيدة كعـــب بن زهير التي أنشأها في مدحه والاعتذار إليه وهي التي بدأها بقوله :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم أثرها لم يفد مكبـــول

ويقول فيها مادحاً النبي :

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الهند مسلول

---

[١] الشعر والشعراء صـــ ٥٦ ، والبيان والتبيين جـــ ١ صـــ ٢٠٢ .

[١] الأبيات لزهير بن أبي سلمي

فيصلحه الرسول ويجعله

.... **مهند من سيوف الله مسلول**

وهـــذا التعليل الذي أبداه الرسول – صلي الله عليه وسلم – إنما هو نقـــد ، إذ فيه توجيه لكعب وغيره من الشعراء إلي صواب القول ، فإن سيوف الهند أو غيرها قد تفل ، أما سيوف الله فهي التي لا تفل ولا تحـــيد عن مواطن الحق ، كما أن فيه توجيه إلي أن مرد القدرة والأمر كله لله وحده سبحانه وتعالي .

هـــ) وعندما أنشده رجل قول سويد بن عامر :

لا تأمنن وإن أمسيت فـــي حـــرم　　إن المنايا يجنبـــي كل إنســـان

فاسلك طريقك تمشي غير مختشع　　حتي تلاقي الذي مني لك الماني

فكل ذي صاحب يوما مفـــارقـــه　　وكـــل زاد وإن أبقيتـــه فانـــي

والخير والشر مقرونان في قـــرن　　بكل ذلـــك يأتيـــك الجـــديـــدان

فقال النبي : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم .

و) وري الأصـــمعي أن رجـــلاً جـــاء إلي النبي – صلي الله عليه وسلم – فقال : أنشدك يا رسول الله ؟ قال النبي : نعم . فأنشده

تركت القيان وعزف القيان　　وأدمنـــت تصليـــة وابتهـــالا

وكري المشقر في حومتـــه　　وشني علي المشركين القتالا

فيارب لا أغبنـــن صفقتـــي　　فقد بعت مالي وأهلي بـــدالا

فقال النبي : ربح البيع – ربح البيع

ز) وقال النبي لحسان : لقد شكر الله لك قولك

زعمت سخينة أن ستغلب ربها   وليغلبن مغالب الغلاب [١]

ح) وقـــال النبـــي لعـــبد الله بـــن رواحـــة : أخبرنـــي ما الشعر يا عبد الله .... ؟

فقال : شيئ ويختلج في صدري ، فيتعلق به لساني

قال : فأنشدني ... فكان مما قال :

فثبت الله ما آتاك من حسن   قفوت عيسي بإذن الله والقدر

فقال النبي : وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت الله .

ولا أدل علـــي رواية الرسول (صلي الله عليه وسلم) لبعض نماذج الـــشعر مما رواه الزبير بن بكار ، يقول : (مر رسول الله – صلي الله علـــيه وســـلم – ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، برجل يقول في بعض أزقة مكة :

يأيها الرجل المحول رحله   هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي : صلي الله عليه وسلم : يا أبا بكر ، أهكذا قال الشاعر ؟

قال : لا يا رسول الله ولكنه قال :

يأيها الرجل المحول رحله   هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – هكذا كنا نسمعها [٢]

---

[١] سخينة : قريش

[٢] دلائل الأعجاز صـــ٧٣ والأمالي / أبو علي القالي جـــ١ صـــ٣٤١ ط بيروت

- وقد كان رسول الله - صلي الله عليه وسلم - ترق نفسه ، وتهتز عــواطفه للــشعر ، روي ابــن رشيق في باب (شفاعات الشعراء وتحريــضهم) في كتابه " العمدة " قال : قال عبد الكريم : عرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي صلي الله عليه وسلم وهو يطوف فاســتوقفته ، وجذبت رداءه حتي انكشف منكبه ، وقد كان قتل أباها فأنشدته :

يا راكباً إن الأثــيــل مظنــــة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ به ميتـــاً بـــأن تحـــيـــة ... ما إن تزال بها الركائب تخفق

مني إليه ، وعبــرة مسفوحة ... جاءت لمائحها وأخري تخنق

هل يسمعن النضر إن ناديتــه ... أم كيف يسمع ميت لا ينطــق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشـــه ... لله أرحـــام هنـــاك تشـــقـــق

قسراً يقاد إلي المنيـــة متعبـــاً ... رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد ها أنت نجـــل نجيبـــة ... في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتي وهو المغيظ المحنق

النضر أقرب من أخذت بذلـــة ... وأحقهم إن كان عتـــق يعتـــق

فقـــال النبي – صلي الله عليه وسلم – : لو كنت سمعت شعرها هذا قبل أن أقتله ما قتلته [١]

– وقد سار الخلفاء الراشدون ، والصحابة المؤمنون علي هذا النهج الـــذي ارتـــضاه الرســـول – صلي الله عليه وسلم – ورسمه ، وإن تلونت اتجاهاتهم إزاء الآثار الأدبية ، ونقداتهم لها باختلاف مواهبهم الشخصية ، وأذواقهم الفنية .

ومن ثم رأينا بعض أصحاب الرسول – صلي الله عليه وسلم – يقول الشعر ويشجع عليه ويرويه ، بل ويبدي فيه رأيه .

وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : (إذا قرأتم شيئا من كـــتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب ، وكان إذا سئل عن شيئ من القرآن أنشد فيه شعراً .[١]

---

[١] العمدة جـ١ صـ ٥٦ بتصرف .

[١] السابق جـ ١ صـ ٣٠ .

عمر بن الخطاب ومذهبه النقدي

عمـــر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان في إسلامه كما كان في جاهليــته عظيم الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية ، بل ظل كــذلك بعد قيامه بالخلافة واشتغاله بجلائلها التي لا تدع له من وقته فراغاً لغيرها .

بيد أنه ظن أن الشعر لا يجوز إنشاده في المجسد ، فيروي عن عمر – رضـــي الله عنه – أنه مر بحسان بن ثابت وهو ينشد الشعر في مـــسجد رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ثم قال : أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنــشد فـــي هذا المسجد من هو خير منك فما يغير علي ذلك ، فقال عمر : صدقت [1]

فكـــان عمر يروي الشعر ويتمثل به ، ويحث علي روايته ، ويعدها مـــن تمام المروءة والمعرفة ، كما قال لابنه عبد الرحمن : يابني : انسب نفسك تصل رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترف أدباً .

---

[1] العمدة جـــ١ صـــ٢٨

كما كتب عمر – رضي الله عنه – إلي أبي موسي الأشعري : (مر من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل علي معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب)

وقال للمسلمين عامة : (ارووا الأشعار فإنها تدل علي الأخلاق) [(١)]

ويقول الجاحظ : (ما أبرم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراً قط إلا تمثل ببيت من الشعر ، ويروي عنه قوله : " خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم " [(٢)]

لكل ما تقدم ندرك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ذا حاسة فنية دقيقة تجاه الشعر ، كما كان يمتاز بقدرة خاصة علي تذوق الشعر ونقدها هذه المقدرة جعلت ابن رشيق يقول عنه في عمدته : (وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة) [(٣)] وكان الناس يعرفون ذلك فيه ، ويحتكمون إليه في أمر الشعر وقد أثر عنه في هذا الشأن الشيئ الكثير ، ومن ذلك :

* قصته مع قبيلة بني العجلان ، فقد كانوا يفخرون بهذا الاسم " بني عجلان " لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قري الأضياف ، إلي أن هجاهم به النجاشي " الشاعر " فضجروا منه ، وسبوا به ، واستعدوا

---

(١) عبقرية عمر / العقاد صـ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبين جـ١ صـ ٢٦٤ ، الحيوان : جـ٥ صـ ١٩٠ .

(٣) العمدة جـ١ صـ ٣٣

عمـــر بـــن الخطـــاب رضي الله عنه علي الشاعر ، فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال عمر : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادي أهل لؤم وذلة فعادي بني عجلان رهط بن مقبل

فقـــال عمـــر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، والله لا يعادي مسلماً فقالوا : إنه يقول عنا :

قبيلـــة لا يغـــدرون بذمـــة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقـــال عمـــر رضـــي الله عنه : ليتني من هؤلاء ، أو قال ليت آل الخطاب كذلك أو كلاماً يشبه هذا ، قالوا : فإنه يقول :

ولا يردون الماء إلا عيشة إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك " أي الزحام "

قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفي ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه .

قالوا : فإنه قال :

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ،

فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك

قالوا : فسأله عن قوله :

أولئك أولاد الهجين وأسرة اللئيم ورهط العاجز المتذلل

فقال عمر : ما هجاكم ، قالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم [١] فقال عمر : أما هذا فلا أعذره عليه ، وحبس الشاعر وضربه وأنذره لئن عاد ليضاعفن له العقاب .

وكـــان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ، ويفهم قـــصده جـــيداً ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات كما هو معلوم في القـــضاء ، فلما قال حسان ما قال ، سجن عمر النجاشي وقيل : أقام عليه الحد [٢]

* قال عمر بن الخطاب ليلة لابن عباس رضي الله عنهما : أنشدني لـــشاعر الشعراء ، قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سـلمي قال ابن عباس : وبم صار كذلك ؟ قال عمر : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاظل في المنطق [٣] ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ،

أليس هو الذي يقول :

إذا ابتدرت قيس بن غيلان غاية   من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كـــل طلـــق مبـــــرز   سبوق إلي الغايات غير مزند [٤]

ولو كان حمد يخلد الناس أخلدوا   ولكن حمد الناس ليس بمخلـــد

---

[١] سلح عليهم / أي حمل عليهم السلاح لقتالهم .

[٢] عبقرية عمر / العقاد صـــ ٢٥٠ ، العمدة جـــ ١ صـــ ٥٢ بتصرف .

[٣] الحوشي : الغريب ، والمعاظلة : هي تركيب الكلام وتداخله حتي يثقل نطقه وسماعه

[٤] طلق : سبق ، مزند : بخيل ضيق – ودعي .

فانشده ابن عباس حتى برق الفجر [١]

ولهـذا الخبر أهمية كبيرة بالغة ، إذ نري عمر رضي الله عنه يعلل لـنقده ، ويفصل له معتمداً في هذا النقد علي كثير من الموضوعية فقـد نظـر رضي الله عنه في ألفاظ ابن سلمي وفي أساليبه ومعانيه ومنهجه في الشعر ، فوصف أسلوبه بالوضوح والسلامة والخلو من التوعـر ، والبعد عن التعقيد ، كما وصف ألفاظه بالسماحة والألفة ووصـف معانـيه بالـصحة والصدق وعدم المبالغة كما أثني علي مـنهجه فـي الشعر ، من حيث التزامه الحق والصدق ، والاعتدال والقصد ، والبعد عن الإفراط والغلو .

ويؤكد هذا الرأي لعمر في زهير . ما قاله عمر رضي الله عنه لابنة زهيـر حين سألها : ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك ؟ قالـت أبلاها الدهر ، قال : لكن ما كساه أبوك هرماً لم يبله الدهر . وقال عمر (رضي الله عنه) لبعض ولد هرم بن سنان : أنشدني ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال : يـا أميـر المؤمنين : إنا كنا نعطيه فنجزل ، فقال عمر : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

* وقيل إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :

---

[١] الشعر والشعراء صـ ٢٣

فإن الحق مقطعه ثــلاث   أداء أو نفار أو جلاء [١]

وكـــان رضـــي الله عنه يكثِر من ترديد هذا البيت ويتعجب من علم زهيـــر بالحقوق وتفصيله بينها واستيفائه أقسامها . ويقول عمر : لو أدركـــت زهيـــراً لوليـــته القـــضاء لمعرفته ، وسمي زهير" قاضي الشعراء " بهذا البيت ، يقول : لا يقطع الحق إلا الأداء ، أو النفار (وهو الحكومة) أو الجلاء (وهو العذر الواضح) وهذه الثلاث علي الحقـــيقة هـــي مقاطع الحق كما قال ، مع أنه جاهلي إلا أن الإسلام أكـــدها وليس هناك أدني من التقاء هذا الفكر الجاهلي مع ما ارتضاه الإسلام وما قرره من مبدأ وهو (البينة علي من ادعي واليمين علي من أنكر) .

* وقـــد روت كتب الأدب والنقد كثيراً من أخبار عمر – رضي الله عـــنه – ونقداتـــه ، فقـــد روي أنهم أنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب اللامية الطويلة ، فلما بلغ المنشد إلي قوله :

والمرء ساع لشيئ ليس يدركه   والعيش شح وإشفاق وتأميل

قال عمر متعجباً : والعيش شح وإشفاق وتأميل

فكأنه ردده مبدياً تعجبه من حسن ما قسم الشاعر وفصل .

* روي الجـــاحظ فـــي (البَـــيان والتبيين) أن الحطيئة كان جاراً للزبرقان بن بدر فلم يحمد الحطيئة جوار الزبرقان ، فتحول عنه إلي

---

[١] ويروي البيت : فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء .

بغـــيض بن عامر ، فلقي عنده خير جوار ، فقال قصيدة يهجو فيها الزبرقان ، ويمدح فيها بغيضاً وفيها يقول للزبرقان :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فـــشكاه الزبـــرقان إلـــي عمر رضي الله عنه ، فقال عمر : ما أراه هجاك ، أما ترضي أن تكون طاعماً كاسياً ! فقال الزبرقان : إنه لا يكـــون فـــي الهجاء أشد من هذا ، فأرسل عمر إلي حسان بن ثابت فـــسأله عن الأمر بعد أن سمع الشعر ، وقال له : أتراه هجاه ؟ قال حسان : نعم وسلح عليه [١] فحبس عمر الحطيئة وقال له : لأشغلنك ياخبيث عن أعراض المسلمين [٢]

- وهـــا هـــو ذا عمـــر بن الخطاب رضي الله عنه البصير بالشعر يـــتحدث ذات مرة مع وفد من قبيلة غطفان فقال : أي شعرائكم الذي يقول :

أتيتك عاريا خلقاً ثيابي   علي خوف تظن بي الظنونا

قالوا : النابغة

قال : فأي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة

---

(١) حمل عليه السلام فكأنه أراد قتاله

(٢) العمدة جـــ١ صـــ ٣٧ .

قال : فأي شعرائكم الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأي عنك واسع

قالوا : النابغة.

قال : هذا أشعر شعرائكم

فالـنابغة فـي رأي عمـر رضي الله عنه أشعر غطفان ، بل أشعر شعراء عبس وذبيان ، بل هو عنده أشعر من عنترة وعروة والشماخ وغيـرهم ، ومـا بني عمر قوله هذا إلا علي بصر بالشعر وعلم به وبما يرمي إليه .

– ومن بعد عمر يأتي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان كذلك ذا بـصر بالشعر يتذوقه وينقده ويعلل لنقده ولرأيه ، ويجعل لحكمه سبباً وعلة ، أنشدوه مرة قول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفي علي الناس تعلم

فأعجـبه صواب معناه وقال : أحسن زهير وصدق ، فلو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .

– كمـا أثر عنه أنه كان يقول الشعر ، ومن الشعر الذي ينسب إلي عثمان رضي الله عنه :

غني النفس يغني النفس حتي يكفها

وإن عضها حتي يضر بها الفقر

وما عسرة – فاصبر لها إن لقيتها –

بكـــائنة إلا سيتعبهـــا يســـر [١]

ويأتـــي علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عمر وعثمان ، وكان مجـــوداً للـــشعر ناقـــداً لـــه مفـــضلاً لـــبعض الشعراء علي بعض بشعرهم .

حكـــي عـــن علـــي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ، ونصبت لهم راية فجروا معاً علمناً من السابق منهم ، وإذ لم يكن، فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقـــيل : ومـــن هـــو ؟ فقال : الكندي " يعني امرأ القيس بن حجر الكندي " قيل : ولم ؟ قال لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة .

– وكـــان علي ينظم الشعر ، ومن شعره ما قاله يوم " صفين " يذكر " همدان " ونصرهم :

ولما رأيت الخيل تـــرجـــم بالقنـــا   نواصيها حمـــر النحور دوامي

وأعرض نقع في السمـــاء كأنـــه   عجاجة دجـــن ملبـــس بقتـــام

ونادي ابن هند في الكـــلاع وحمير   وكندة في لخم وحـــي جـــــذام

تيممت همـــدان الذيـــن هـــم هـــم   – إذا ناب دهر – جنتي وسهامي

فجاوبني من خيل همـــدان عصبـــة   فوارس من همدان غيـــر لئـــام

فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها   وكانوا لدي الهيجا كشرب مـــدام

فلو كنت بواباً علـــي بـــاب جنـــة   لقلت لهمـــدان : ادخلـــوا بسلام

---

[١] العمدة جـــ ١ صـــ ٣٤ .

وهو القائل بصفين أيضا :

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قلت قدمها حضين تقدما

فيوردها في الصف حتي يرد بها حياض المنايا تقطر الموت والدما

فهؤلاء الخلفاء رضوان الله عليهم ، ما منهم إلا وقال الشعر ، ونقده .

الفصل الثاني : النقد في العصر الأموي

الاتجاهات العامة في نقد الأمويين :

ينمو النقد ويتطور ويقوي في العصر الأموي حيث استقر العرب في المدن والأمصار ، وتأثروا بالحضارات الأجنبية مادياً وعقلياً ، فتطور شعرهم وتطورت تبعاً لذلك أذواقهم ، وكيف لا وقد تحقق حلم الأمويين بالسيادة والملك بعد قتال طويل علي الخلافة ، وشب صراع بينهم وبين الأحزاب والطوائف الأخري التي قامت تناوئهم ، ومن ثم أصاب المجتمع الإسلامي آنئذ تطور خطير في حياته العامة .

وأضيف إلي ذلك أمر جديد وهو دخول عناصر وأجناس مختلفة لها بيئاتها الخاصة ، وحياتها وأفكارها الجديدة الغريبة علي المجتمع الإسلامي .

ولم يكن هذا التطور عاماً في كل البيئات ، ولا عند كل الأفراد ، فقد كانت تسبق بيئة في شعرها وفي ذوقها وتتخلف أخري ، وأهم بيئات الشعر حينئذ الحجاز والعراق والشام ، وكانت الحجاز أسبق البيئات إلي التطور بشعرها إذ سبقت إلي التطور بحياتها الاجتماعية تحت تأثير الثروات التي أصابها أهلها من الفتوح ، ومما أغدقه عليهم الأمويون من الأموال ، حتي يرضوا أهلها ويصرفوهم عن طلب الخلافة منهم ، واقترن بهذه الثروات والأموال إغراق في الجانب المادي من الحضارات الأجنبية التي نقلها لهم الموالي الذين اتجهوا

إلـــي التـــرفيه عن ساداتهم بالغناء والموسيقي ، وأقاموا لهم نوادي ودوراً كانـــت تكتظ بالمغنين والمغنيات مثل دار " جميلة " المشهورة في المدينة [١]

وكـــان الشباب في المدينة ومكة معتداً مفتخراً بنفسه ، وكيف لا وهم ورثـــة الفاتحـــين لبلاد فارس والروم ،فكان طبيعياً أن يتجدد شعره بتجدد حياته الاجتماعية وما أصاب نفسيتهم من تغير وتطور فظهر في المدن الغزل الصريح ، وشاع في البادية الغزل العفيف ، وشاع بين المدنين نشاط نقدي واسع قام علي الموازنة بين النوعين .

كـــل ذلك وغيره جعل من هذا العصر ، عصراً ذهبياً للأدب شعره ونثـــره وصـــلت فـــيه الكلمة إلي ذروة مجدها ، وتألق نجم الشعر وارتقت الخطابة قمة باذخة .

وقد واكب النقد هذه النهضة الأدبية ، ولمع في سمائها وأخذت تظهر فيه اتجاهات تختلف في مسارها مع اختلاف الحياة في أرجاء الدولة الجديدة .

وفـــي الـــسنوات الأخيرة من القرن الأول الهجري شهد النقد الأدبي ازدهاراً حيث كثرة الشعراء ، واختلاف البيئات والنزعات والمذاهب الأدبية ، فعمر بن أبي ربيعة في مكة ، والأحوص الأنصاري وعبيد الله بـــن قـــيس الـــرقيات في المدينة ، والأخطل في شبه الجزيرة ،

---

[١] النقد / شوقي ضيف صـــ ٣٠

والكميت الأسدي في الكوفة ، والطرماح بن حكيم وعدي بن الرقاع في الشام ، هؤلاء الشعراء جميعاً أثروا الحركة الأدبية بنتاجهم الشعري الذي كان مادة فسيحة للموازنة ، فقد أخذ كثير من الناس يوازنون بين هذا الشعر الجديد والشعر القديم ، كما أخذوا يوازنون بين نوعي الغزل الصريح والعفيف ، ولا يقف سيل هذه الموازنة عند حد ، فهو يطغي علي كل الناس حتي الفقهاء ، فسعيد بن المسيب يسأل نوفل بن مساحق : من أشعر ؟ أعبيد الله بن قيس الرقيات أم عمر أبي بن ربيعة ؟ ويسأل غيره هل جميل بن معمر الشاعر البدوي العفيف أشعر أو ابن أبي ربيعة شاعر مكة الحضري ؟ ويختلف الجواب باختلاف الذوق .

وفي أثناء ذلك يلتقي الشعراء في فرص منظمة بالنوادي " الاجتماعات " ليلاً أو بالمسجد ، فيتحدث بعضهم إلي بعض ويتبادلون الملاحظات علي شعرهم ، ومن طريف ما يروي أن " كثير " وهو من أصحاب الغزل العفيف ومن بدو الحجاز اجتمع بابن أبي ربيعة والأحوص ونصيب وهم أصحاب الغزل المادي الصريح ، فدار الحديث بينهم وتجادلوا في أشعارهم وتماروا في أيهم أشعر ، فتعرض لهم " كثير " وأخذ يعيب شعرهم ، وكان مما قاله لعمر بن أبي ربيعة :

" أنت تنعت المرأة فتشبب بها ، ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرني يا هذا عن قولك " :

قالت تصدي له ليعرفنـــا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبي ثم اسبطرت تشتد في أثري [١]

وقولها والدموع تسبقها لنفسدن الطواف في عمـــر

أتـــراك لو وصفت بهذا حرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجـــر ؟ ! وإنمـــا توصف الحرة بالحياء والإباء والالتواء والخجل والامتناع ، ويمضي الخبر فيذكر أن ابن أبي ربيعة وصاحبيه " عيباً بعيب " أي واحدة بواحدة فعابوا شعره كما عاب شعرهم "

وكان مما قاله له عمر :

" أخبرني عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول :

ألاليتنا يا عز كنا لـــذي غني بعيرين نرعي في الخلاء ونعزب [٢]

كلانا به عر فمن يرنـــا يقـــل علي حسنها جرباء تعدي وأجرب [٣]

إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما ننفك نرمـــي ونضـــرب

تمنـــيت لهـــا ولنفـــسك الرق والجرب والرمي والطرد والمسخ فأي مكروه لم تتمنن لها ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قول القائل : (معاداة -

---

[١] تشتد : تعدو

[٢] نعزب : نبعد ونغيب

[٣] عر : جرب

عاقل خير من مودة أحمق) .

- فكثيــر فــي ملاحظته ونقده لابن أبي ربيعة إنما يستمد من ذوق أصحاب الغزل العفيف الذين يرون أن لا تصور المرأة كما هي في الواقــع ، وإنمــا تصور كمثل أعلي ، فهم لا يذكرون منها ما يكون فعــلا فــي غير تأثم ولا تحرج ، وإنما هم يصنعون لها ضروباً من الحياء والتمنع .

- وابــن أبي ربيعة في الجانب المقابل يستمد نقده من أهل الحضر ويلاحظ علي كثير خشونة في ذوقه لأنه من أهل البادية ، وهو لذلك لا يحسن التمني لصاحبته "عزة " علي نحو ما يحسن ابن أبي ربيعة في مثل قوله :

فعدي نائلاً وإن لــم تنيلي   إنه يقنع المحب الرجاء [١]

ولأهل الحجاز في كتب الأدب ملاحظات كثيرة من هذا النوع ، وهي في جملتها تستمد من الذوق الحضري الجديد .

- كمــا كان للعصبية أثرها الكبير في النقد ، حيث استعادت القبائل خــصوماتها الجاهلية وما ينطوي من عصبيات وحولتها إلي ضرب مــن المفاخــرات بــين الشعراء الذين كثر اجتماعهم وكثر الحوار والاختلاف بينهم .

---

[١] أي أوعدي وإن لم تعطي .

وكانـــت كل قبيلة تحاول أن تثبت فضلها في الشعر ، فإن لم يسعفها شـــعراء حاضـــرون ارتـــدت إلي الجاهلية تستعين بشعرائها القدماء لتثـــبت أنها ورثت الشعر من قديم وأن تراثها فيه عظيم ، ومن هنا ظهـــرت بقـــوة فكرة الموازنة بين الشعراء بعضهم وبعض ، ثم بين الـــشعراء المعاصرين وأسلافهم في الجاهلية ، ونشبت معارك جدلية كثيـــرة فكـــل قبلية تتعصب لشعرائها ، وكل شاعر يقول : أنا أشعر الـــناس ، وســـوق " المربد " بالبصرة كان أهم مركز لهذا الحوار والجدل ، ففيه كان يلتقي الشعراء كل يوم ويتحاورون ويتخاصمون ، ويكفـــي أن نذكـــر جريراً والفرزدق ، وما أثاراه حولهما من نشاط نقدي لنتعرف إلي أي مدي كان المربد باعثاً علي نشاط النقد في هذه البيـــئة ، فقد كان لكل منهما حلقة ، وكان الناس يؤمونهما ليستمعوا إلـــي مناظـــرات الشعر التي بعثوها ، والتي تسمي في تاريخ الأدب العربـــي باســـم (الـــنقائض) حيث يصوغ أحدهما في الفخر بنفسه وعشيرته وهجاء صاحبه وقبيلته ، ثم يرد عليه صاحبه بقصيدة من نفـــس وزن قـــصيدته وقافيـــتها وغرضها ، وفي أثناء ذلك يتصايح الناس ، ويهللون ويصفقون ، ويتقدم الشعراء فيبدون ملاحظاتهم علي الشاعرين وقد جرت علي ألسنة الشعراء في هذه البيئة بعض كلمات معروفة عند النقاد مثل السبق في المعاني وكلمتي الخاصة ، والعامة فجرير أشعر الناس عند العامة – والفرزدق أشعر عند الخاصة .

- وكان الشعراء يفدون علي الخلفاء يطلبون رفدهم وجوائزهم ، وأفسح لهم الخلفاء في مجالسهم ، بل جعلوا هذه المجالس نوادي أدبية حافلة وكان من أهم ما يعرضون له فيها الشعر والشعراء ، فمعاوية كان يقول للمتجادلين من حوله : (خلوا إلي طفيلاً ، وقولوا ماشئتم في غيره من الشعراء) يريد طفيلا الغنوي الشاعر الجاهلي المشهور بوصف الخيل .

وكان الخلفاء الأمويون بعد معاوية يعقدون هذه المجالس ، وقلما وفد عليهم شاعر إلا سألوه عن الشعراء من المعاصرين والسابقين ، فالأخطل وجرير والفرزدق كل منهم يسأل عن صاحبيه ، ويسأل عن غيرهما من المعاصرين – كما يسأل عن الشعراء السالفين ، ولم يقف هؤلاء الخلفاء عند السؤال والاستفتاء ، فقد كانوا كثيراً ما يبدون ملاحظات نقدية علي ما يسمعون .

فمن ذلك أن عبد الملك بن مروان لما سمع قول جرير في هجاء الأخطل والافتخار عليه :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة   لو شئت ساقكم إلي قطينا [١]

فقال عبد الملك : ما زاد جرير علي أن جعلني جلواذاً مكلفاً بالسوق إليه ، أو ما زاد علي أن جعلني شرطياً ، أما أنه لو قال : لو شاء ساقكم إلي قطينا لسقتهم إليه كما قال .

---

[١] القطين : الخدم والحشم

وعبد الملك يشير هنا إلي ضرب من المجاملة ينبغي أن يأخذ الشاعر به نفسه حين يعرض لأمثاله من الخلفاء .

- ويـــروي الـــرواة أنـــه كان يقول للشعراء ممن لا يقع منه موقعاً حـــسناً : تشبهوني مرة بالأسد ، ومرة بالبازي ، ومرة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقري :

ملـــوك ينزلـــون بكـــل ثغـــر   إذا ما الهام يوم الروع طارا

رزان في الأمور تري عليهم   من الشيخ الشمائل والنجارا [١]

نجوم يهتـــدي بهـــم إذا مـــا   أخو الظلماء في الغمرات جارا

ومن الواضح أنه يدعو الشعراء إلي تجديد معانيهم وصورهم

- وأنشد عبيد الله بن قيس الرقيات قصيدة يمدح فيها عبد الملك يقول فيها :

إن الأغر الذي أبوه أبو الـــ   عاصي عليه الوقار والحجب

يأتلق التاج فـــوق مفرقـــه   علي جبيـــن كأنـــه الـــذهب

فغضب عبد الملك وقال له :

يـــا ابـــن قـــيس تمدحني بالتاج كأني من ملوك العجم ، وتقول في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللـــ   ـــه تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عـــزة ليـــس فيه   جبـــروت منـــه ولا كبـــريـــاء

---

[١] النجار : الأصل

وهو علي ما نري نقد دقيق يدل علي ما وراءه من ذوق جيد

– وغير عبد الملك من خلفاء بني أمية كانوا يعلقون علي شعر مادحيهم بمثل هذه الملاحظات ، وقد امتاز يزيد ابنه بأنه كان شاعراً ، وكذلك كان الوليد بن يزيد ، وسليمان بن عبد الملك .

– روي ابن رشيق في العمدة قال : .... غضب سليمان بن عبد الملك علي الفرزدق ، وذلك أنه استنشده فيه أو في أبيه ، فأنشده مفتخراً عليه :

وركب كأن الريح تطلب عندهم

لها تـرة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح وهي تلفهم

إلي شعب الأكوار ذات الحقائب

إذا استوضحوا ناراً يقولون : ليتها

– وقد خصرت أيديهم – نار غالب [1]

فتبين غضب سليمان ، وكان نصيب الشاعر حاضراً فانشده :

أقول لركب قافلين رأيتهم   قفا ذات أو شال ومولاك قارب [2]

قفوا خبروني عن سليمان إنني   لمعروفة من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

---

[1] غالب : أبو الفرزدق

[2] قفاه : جانبه الخلفي ، وذات أو شال : اسم موضع

فقـال سـليمان : يـا غلام ، أعط نصيبا خمسمائة دينار ، وألحق الفرزدق بنار أبيه ، فخرج الفرزدق مغضباً يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالاً   وشر الشعر ما قال العبيد [١]

وتـروي كـتب الأدب أن وفداً من العراق قدم علي معاوية فخطبهم قائلاً : (مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنـشر وإليها المحشر ، قدمتم علي خير أمير يبر كبيركم ، ويرحم صـغيركم ، ولـو أن الـناس كلهـم ولـد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء .)

فقام إليه صعصعة بن صوحان ، فحمد الله وأثني عليه ، وصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم ، ثم قال :

(أمـا قـولك يـا معاوية : أننا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك منها المنـشر وإلـيها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمناً .

وأمـا قـولك : لـو أن الـناس كلهـم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خير من أبي سفيان ، وهو آدم عليه صلوات الله فكان منهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم) [٢]

---

[١] العمدة جـ١ صـ ٧٣

[٢] الخطابة في صدر الإسلام / محمد طاهر درويش جـ٢ صـ ١٤٠ .

فهذه فطرة أدبية سوية سليمة، زانها ذوق ناقد ينظر في الكلام فيميزه وينقده، ويوجهه وجهته السليمة ، ويخضعه لمقاييس واضحة ، من صحة المعني وصواب المنطق ، حتي ولو كان الكلام صادراً من خليفة رفيع الشأن ، جليل القدر كمعاوية .

– وموقف آخر جري فيه الكلام بين معاوية ورجل من أهل سبأ فقد نظر الرجل في قول معاوية ، وعقب عليه ونقده ، وقد اعتمد في نقده أيضا علي سلامة المنطق ، وسداد الرأي وصحة المعني قال معاوية للسبئي : ما كان أجهل قومك حيث ملكوا عليهم امرأة " يعني بلقيس "

فقال السبئي : بل قومك أجهل ، قالوا حين دعاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الحق وأراهم البينات : " اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " ألا قالوا :اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه . [1]

---

[1] السابق جـ٢ صـ ١٤١ .

اتجاهات النقد في العصر الأموي

أخذ النقد في العصر الأموي اتجاهات واضحة تمتاز بالأصالة الفنية والعمق ، ومن هذه الاتجاهات :

١) الاتجاه اللغوي : وهو اعتداد العلماء من النحاة واللغويين بآرائهم النقدية لاتصالها بالقواعد المقررة لديهم .

٢) الاتجـــاه الفني : وهو اتخاذ الجودة الفنية أساساً في تقويم الشعر دون النظر إلي خلق أو نمط حياة الشاعر الخاصة .

٣) اتجـاه المــوازنات : وهو المقارنة الدقيقة بين نصين اتحدا في الموضوع أو بين شاعرين اتحد مذهبهما الشعري .

أولاً : الاتجـــاه اللغــوي : كان العربي بحسه اللغوي يلمح اللفظ من حـــيث بنائه وصياغته واشتقاقه ، ومن حيث مركزه الإعرابي ، فإذا لحن الشاعر في كلمة أو في تركيب تلقفته ألسنة النقاد وخصوصاً من لهم باللغة علاقة من ناحية النحو والصرف أو الاشتقاق .

١- ومـــن أمـــثلة النقد اللغوي " نقد العلماء " ما علق به أبو العباس محمد بن يزيد النحوي علي قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   خضع الرقاب نواكس الأبصار

فقـــد جمـــع الـــشاعر : ناكس علي نواكس " ولا يجمع وزن فاعل علـــي " فـــواعل " إلا مـــع المؤنث ، أو المذكر غير العاقل ، فتقول

فاطمة ← فواطم - شاعرة ← شواعر .

خاتم ← خواتم - كاهل ← كواهل .

أمـــا جمـــع ناكس علي نواكس فخطأ لغوي ، ولكن ضرورة الشعر أحوجته إلي ذلك .

٢- ومنه أيضاً ما أنشده الفرزدق من قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلف

فـــسأله عـــبد الله بـــن أبـــي إســـحاق " الـــنحوي " علـــي أي شئ ترفع " مجلف " ؟ فرد الفرزدق : علي ما يسوءك وينوءك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا .

فـــرفع الشاعر مجلف " وحقها النصب لأنها معطوفة علي " مسحتاً " وذلك علي رواية أن الفعل " يدع " مفتوح الدال .

- وقـــد تـــأول بعض النحاة رفع " مجلف " فقال : إنه عطف علي المنـــصوب بملاحظـــة المعني لا اللفظ فكأنه قال " : بقي مسحت أو مجلف

- وبعد ذلك هجا الفرزدق أبن أبي إسحاق فقال :

ولو كان عبد الله مولي هجوته   ولكن عبد الله مولي موالياً

فقـــال ابـــن أبي إسحاق : لحنت كان ينبغي أن تقول " مولي موال" وكـــأن ابـــن أبي إسحاق هنا لم يهتم بهجاء الشاعر له بقدر ما اهتم بإصلاح الخطأ ، وموال حقها أن تحذف الياء ثم يعوض عنها التنوين أي تعل إعلال قاض وساع وداع .... إلخ ولا تثبت الياء إلا في حالة النصب .

٣- مــدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد العزيز بن مروان بقصيدة قال فيها عن شبلين " أبناء الأسد "

ما مر يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يالغان دما

فقــال يــونس " النحوي " يجوز " يولغان " ولا يجوز " يالغان " فقيل له : قد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حجازي فصيح

قال يونس : إنه ليس بفصيح ولا ثقة إنه يضيع عمره في اللهو

٤- طعن الأخفش علي بشار بقوله :-

فالآن أقصر عن سمية باطلي وأشار بالوجلي علي مشير

وقوله :

علي الغزلي مني السلام فربما لهوت بها في ظل مرعومة زهر

وقوله يصف سفينة :

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

قــال الأخفــش : لم يسمع وزن (فعلي) من الوجل والغزل ، ولم أسمع بنون " حوت " تجمع علي نينان

فبلغ بشار ما قاله الأخفش توعده بالهجاء ، فعدل الأخفش عن طعنه ورأيه ورضي أن يحتج بشعره خوفاً من لسانه .

٥- قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات : ويحك يا ابن قيس أما اتقيت الله حين تقول عن ابن جعفر :

تزور امرأ قد يعلم الله أنه تجود له كف بطئ غرارها

ألا قلت : قد يعلم الناس ، قال ابن قيس : قد والله علمه الله ، وعلمته أنت ، وعلمته أنا وعلمه الناس .

ولم يفطن الشاعر إلي اعتراض عبد الملك بن مروان ، ووجه اعتراضه نشأ من تقييد الفعل المضارع " يعلم " بقد ، لأن قد تفيد القلة والشك . فاعتقد الشاعر أن عبد الملك ينفس " يحسد " علي ابن جعفر أن يعلم الله بجوده ، ولهذا أجابه بقوله : قد والله علمه الله ...... الخ ، وعبر هنا بالماضي قد علمه ولو قال ابن قيس : يعلم الله أو قد علم الله ما كان للخليفة أن يعترض .

٦- ودخل النضر بن شميل علي المأمون ، فأجريا الحديث ، حتي جاء ذكر النساء ، فروي المأمون حديث ابن عباس من رواية هشيم : " إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز " ونطق " سداد " بفتح السين .

وروي النضر الحديث نفسه من رواية علي بن أبي طالب ونطق " سداد " بكسر السين .

قال المأمون : أتلحنني يا نضر ؟ قال : لا وإنما لحن هشيم وكان لحانا فتبع الأمير لفظه ، قال : فما الفرق بينهما ؟

قال النضر : السداد بالكسر : البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً ، قال المأمون : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال النضر : نعم هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتي أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ثانياً : الاتجاه الفني :

وهـــو تقويم الشعر علي أساس الإجادة في إصابة المعني الذي يقصد إلـــيه الـــشاعر ويرمي مع مراعاة الألفاظ والأخيلة دون النظر إلي سلوك الأديب أو أخلاقه .

ومن صور هذا النوع من النقد ما يلي :

١- وصف أبو النجم فرساً فقال فيه :

يسبـــح آخـــراه ويطفـــو أولـــه

فـــنقده الأصـــمعي بقـــوله : إذا كان " الفرس " كذلك فحمار الكساح أسرع منه ، لأن اضطراب مؤخرة الفرس قبيح، وإنما الوجه ما قاله الأعرابي في وصف فرس أبي الأعور السلمي:

مر كلمع البرق شام ناظره ... يسبح أولاه يطفو آخره

ما يمس الأرض منه حافره

٢-وهذا الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان تكثر آراءه واتجاهاته ونقداته في الأدب شعراً ونثراً حيث كانت مجالسه حافلة بأرباب العلم والرواية وأهل الشعر والأدب .

دخـــل علـــيه العجاج الراجز المشهور ، فقال عبد الملك : يا عجاج بلغنـــي أنك لا تقدر علي الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين من قدر علي تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية (أي من استطاع رفع شأن الناس بالمدح ، استطاع هدم شأنهم بالقدح والهجاء) قال : فما يمنعك

مــن ذلك ؟ قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظلم وإن لنا حلماً يمنعنا مــن أن نظلــم ، فعلام الهجاء ؟ قال عبد الملك : لكلماتك أشعر من شــعرك ! فأني لك بعز يمنعك من إن تُظلم ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، قال عبد الملك : فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم؟ قال : الأدب المستطرف والطبع التالد ، قال : يا عجاج لقد أصبحت حكيماً ، قال عجاج : وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين .

٣- كان عبد الملك كثيرا ما ينقد مطالع القصائد في عبارات وجيزة تفــصح عن عدم ارتياحه إلي هذا المطلع أو ذاك ، وكان يصدر في ذلك عن طبع وذوق .

دخل جرير علي عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح

فقــال له عبد الملك : (بل فؤادك يا ابن الفاعلة) كأنه استثقل هذه المواجهة [1] .

ومــن هــذه الوجهة عاب علي ذي الرمة حينما دخل عليه فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدته :

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنها من كلي مفرية سرب

وكانــت بعــين عــبد الملك ريشة فهي تدمع أبدا " دائماً " فتوهم أن الشاعر خاطبه أو عرض به فقال : وما سؤالك عن هــذا يا جاهــل

---

(1) العمدة جـ١ صـــــ ٢٢٢

فمقته وأمر بإخراجه .

وكذلك فعل ابنه هشام بن عبد الملك بأبي النجم حينما دخل عليه أبو النجم وقد انشده في أرجوزة :

والشمس كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحولا ، فأمر به فحجب عنه مدة ، وقد كان قبل ذلك من خاصته ، يسمر عنده ويمازحه .

قال ابن رشيق : وأنما يؤتي "يقع" الشاعر في هذه الأشياء إما من غفلـــة فـــي الطبع وغلظ أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمـــل يـــذهب مع حسن القول أين ذهب ، والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها ، وينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ، ويمـــيل إلي شهواتهم ، وإن خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره [١]

٤- عاب عبد الملك بن مروان علي كثير قوله :

هممت وهمت ثم هابت وهبتها حياء ومثلي بالحياء حقيق

حيث قال له : شركتها معك في الهيبة ، ثم استأثرت بالحياء دونها وعندما مدح " كثير " أخاه " عبد العزيز بن مروان " بقوله :

وما زالت رقاك تسل ضغني وتخرج من مكامنها ضبابي

قال لأخيه "عبد العزيز " ما مدحك وإنما جعلك راقياً للحيات .

(1) السابق جـ١ صـ٢٢٣

- وهناك الكثير من النقدات الأدبية التي تحفل بها كتب الأدب والنقد لــرجال وأدبــاء هذا العصر وهي نقدات تنبئ عن حس رهيف في تذوق الجمال الفني .

٥- أتـــي الفـــرزدق المدينة قاصداً " سكينة بنت الحسين بن علي " رضـــي الله عنها لينشدها من شعره فقالت له يا فرزدق : من أشعر الناس ؟ فقال الفرزدق : أنا

قالت سكينة : كذبت ، أشعر منك الذي يقول :

بنفسي من تجنبـــه عزيـــز علي ، ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجـــع النيام

فقال الفرزدق : والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه ، فلم تأذن له وصرفته ، فوافاها اليوم التالي ، ودار بينهما نفس الحوار ، فقالت له أشعر منك الذي يقول :

لولا الحياء لهاجني استعبـــار ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الحليل فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار

وفي اليوم الثالث يدور نفس الحوار ، فقالت له : أشعر منك صاحبك الذي يقول :

إن العيون التي في طرفها حـــور قتلننا ثم لم يحيــن قتلانـــا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنساناً

- وسمعت قول الأحوص الأنصاري :

من عاشقين تراسلا فتواعدا ليلا إذا نجم الثريا حلقا

بعثا أمامها مخافة رقبة عبدا ففرق عنهما ما أشفقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتي إذا وضح الصباح تفرقا

فقالت : وددت لو قال : تعانقا بدلاً من تفرقا

٦- وجاء جرير قاصدا مجلس "سكينة" فردته قائلة : ألست أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي السلام

قال : نعم ، قالت : هلا أخذت بيدها فرحبت بها ، وأدنيت مجلسها ، وقلت لها ما يقال لمثلها : ادخلي بسلام . وأي ساعة أحلي للزيارة من الطروق ؟ !

ثالثاً : المـــوزانـــات

الـــناقد الرقيق هو الذي يبحث ويطيل النظر في شعر الشاعر وشعر غيـــره ممن يوازنه به ، ولا بد له أن يعرف المثل الأعلي للشعر ، ويقـــرأ ما قاله كل شاعر ويزنه ويقومه فإذا طلبت منه الموازنة بين جريـــر والفـــرزدق مثلا وزن شعر كلا منها ثم قارن بينهما مقارنة مـــضبوطة بأصـــول وقواعد و ولكننا نلاحظ في موازنات العصر الأموي إذا رجعنا إليها أنها تقف دائما عند وضع أحد شاعرين فوق زميله ، ولا تعلل ذلك ولا تذكر أسبابه وفي الغالب ليس هناك سبب ولا علة سوي الميل الشخصي .

ومن الموازنات ما روته كتب الأدب من أن الحجاج بن يوسف اجتمع عنده الفرزدق وجرير يوماً فقال لهما : من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له فأنشد الفرزدق :

فمن يأمن الحجاج والطير تتقي عقوبته إلا ضعيف العزائم

ثم أنشد جرير :

فمـــن يأمـــن الحجاج أما عقابه فمـــر وأمـــا عقـــده فوثيق

يسر لك البغضاء كـــل منافـــق كما كل ذي دين عليك شفيق

فقـــال الحجـــاج للفرزدق : ما عملت شيئاً ، إن الطير تتقي الصبي والخشبة ودفع الخلعة إلي جرير.

ونقـــاد العـــرب فـــي إقامـــتهم للمـــوازنات كانوا يشترطون اتفاق الشاعرين في المعني حتي تمكن الموازنة بين المعاني والأسلوب ، ولم يشترط بعض النقاد هذا الاتفاق مكتفياً بالاتفاق في الغرض العام من بعيد . [١]

- سمع بشار قول كثير :

ألا إنما هند عصا خيزرانة　　　إذا غمزوها بالأكف تلين

فقـــال " بشار " قاتل الله أبا صخر يزعم أنها خيزرانة بعد أن جعلها عـــصا والله لو جعلها عصا زبد أو عصا مخ لهجنها وما كان يجدي بعد أن جعلها عصا ، هلا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد　　　كأن حديثها قطع الجمـــان

إذا قامـــت لحاجتها تثنت　　　كأن عظامها من خيزران

والهجـــنة في التعبير جاءت من تشبيه المرأة بالعصا حتي ولو كانت مـــن خيزران فهي في غاية النحافة والهزال وهي اليبوسة علي تلك الصورة .

- ومنه قول الفرزدق :

أتعدل أحساباً لئاما أدقة　　　بأحسابكم ، إني إلي الله راجع

ولقد وضع أمامه قول جرير :

أتعدل أحسابا كراما حماتها　　　بأحسابكم ، إني إلي الله راجع

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب / أحمد بدوي صـــ ٥٤٣ بتصرف .

فلقـــد قارن الشاعران ووازنا وقابلا بين الأحساب ، في الشطر الأول والأحساب في الشطر الثاني .

الفصل الثالث

أثر النقائض في توجيه النقد

يعد فن النقائض من ألصق فنون الشعر بالعصر الأموي – وإن ظهر قبل ذلك بصورة أولية سذاجة – إلا أنه في العصر الأموي قد اتخذ وجهة خاصة وانتشر انتشاراً واسعاً حتي تفرغ له كبار الشعراء في ذلك العصر من أمثال الفرزدق وجرير والأخطل .

والنقائض : جمع مفرده نقيضة ومعناها يدور حول الهدم للبناء ، والحل للعهد والحبل قال تعالي : " ولا تكونوا كالتي نقضت غزها من بعد قوة أنكاثاً " وناقض الرجل غيره إذا أبطل كلامه وأثبت ما يغايره .

– ويقصد بالنقيضة : أن يتجه شاعر إلي شاعر آخر بقصيدة يهجوه فيها أو يفخر عليه فيرد عليه الآخر بقصيدة أخري يهجوه ويرد عليه ملتزماً في ذلك نفس البحر ونفس القافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول فضلاً عن الغرض " الهجاء والافتخار "

– وقد عرفت النقائض منذ العصر الجاهلي وذلك فيما قيل يومي الكلاب الأول والثاني ويسمي الثاني يوم " الشعيبة " وكان بين قبائل بني تميم وبني سعد علي قبائل مذحج وهمدان وكندة .

ثم أخذت صورة النقائض في أيام العرب ومعاركها صورة فطرية انعكست عليها صراعات الشعراء فكان كل شاعر في معسكر قبيلته يحمس ويهاجم فتكثر تبعاً لذلك حرب اللسان إلي جوار حرب السنان

ومعـــركة الـــشعر بجوار معركة السيف ، وأخذ بعض الشعراء يرد علي البعض الآخر فينذر ويهدد ويتوعد ويفخر ويحمس ويندد ويلتزم فـــي ذلـــك كلـــه البحر والقافية الموحدين ومن هنا تجسدت الصورة الفطرية الأولي لفن النقائض .

ولما جاء الإسلام وأشرقت الأرض بنور ربها انقسم العرب آنئذ إلي مسلمين ومشركين واحتدم بينهما الصراع معتقداً كل فريق أن الحق في جواره واجتذبت المعارك بينهما الشعراء ، فكان شعراء الإسلام إزاء شـــعراء الشرك والضلال ، وبينهما دارت صراعات بلا حدود كـــان قـــوام تلك الصراعات وتلك المعارك الفخر بالبطولة والنصر وتعيير المهـــزوم الـــذي راح يقـــدم الاعتذار عن الهزيمة ويذكر البطولات السالفة ، ويهدد بالظفر واستئصال شأفة الخصم في الوقائع اللاحقة وكل ذلك يمثل النقائض تمثيلاً ناضجاً صادقاً .

– وخير ما يمثل ذلك ما قاله عبد الله بن الزبعري عقب موقعة أحد مفتخـــراً بانتـــصار المـــشركين في هذه الغزوة وما أوقعوه بأبطال المسلمين ، مما جعلهم يثأرون لهزيمتهم في بدر إذ يقول :

يا غراب البين أسمعت فقل ... إنما تنطق شيئـــاً قـــد فعـــل

أبلغن حســـان عنـــي آية ... فقريض الشعر يشفي ذا الغلل

كما قتلنا من كريـــم سيـــد ... ماجد الجديـــن مقـــدام بطـــل

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

فقتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا ميـــل بـــدر فاعتدل

حينئذ أجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه بأن الحرب دول ، وإنهم وإن انتصروا في أحد ، فقد انتصر المسلمون في بدر وفيها كانت بطولات ومآثر حيث قتل صناديد الكفر علي أيدي أبطال مؤزرين بنصر الله وملائكة فقال حسان :

ذهبت بابن الزبعري وقعة ... كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنا منكم ... وكذاك الحرب أحيانا دول

نضع الأسياف في أكتافكم ... حيث نهوي علا بعد علل

إذا شددنا شدة صادقة ... فاجأناكم إلي سفح الجبل

برجال لستم أمثالهم ... أيدوا جبريل نصراً فنزل

وعلونا يوم بدر بالتقي ... طاعة الله وتصديق الرسل

وتركنا في قريش عورة ... يوم بدر وأحاديث الرسل

– ثم وجدنا النقائض تسهم بدور كبير في تطور النقد في عصر بني أمية حيث تجاوز هذا الفن تلك الصورة الساذجة التي توقف عندها في عصري الجاهلية وصدر الإسلام ، والتي كانت تدور حول بعض المعاني التي يرمي بها المهجو كالجبن والبخل والقعود عن الثأر وعدم الوفاء وتدني الهمة إلي صورة جديدة وهي غوص الشاعر وراء المعاني المبتكرة والتقاط الصور الجديدة واللهث إلي ابتداع الأخيلة التي لم يسبق إليها .

ويلاحظ أن النقائض :

١) كانـت تـشترك مع القصيدة العربية القديمة في شكلها وإطارها الخارجـي ومظهـرها العام وهو اشتماله علي عدة موضوعات تبدأ ببكاء الأطلال والديار ، ثم وصف الرحلة التي يقطعها الشاعر عبر صحرائه إلي الممدوح ، ثم المدح أو الفخر أو الهجاء .

٢) التزام أصحابها بالأوزان والقوافي المعروفة وعدم الخروج عليها وإن كانت الألفاظ والمعاني والأخيلة جديدة .

٣) كانـت أغلب الموضوعات التي تدور حولها النقيضة هي الفخر والهجاء وهما الغرضان اللذان استنفدا جهد ووقت الشعراء .

أما الفخـر : فهـو فن قديم ولا تكاد تخلو منه نقيضة من النقائض ، سواء أكان فخراً بالمآثر والصفات المعروفة عند العرب قديماً كالكرم والـشجاعة والمروءة وحماية الجار ..... أم فخراً بالآباء والأجداد والقـبائل وخـلال ذلـك تطل العصبية القبلية دون استحياء مع أن الإسلام عمل علي محو معالمها وملامحها .

وأما الهجاء : فهو أيضاً فن قديم جداً ، وهو كذلك لا تكاد تخلو منه نقيضة لأنه ببساطة من أقوي ركائزها .

والهجاء يقوم علي ثلاث دعائم :

١) تجريد المهجو وقبيلته من شتي المكارم الإنسانية والمآثر الحميدة ثم إلصاق هذه المكارم وتلك المآثر بنفس الشاعر الهاجي .

٢) قــذف وســب المهجــو بأبــذء الشتائم والسباب إلي حد تناول الأعــراض والحرمات والتعرض للنساء بالفحش والخنا علي نحو لا يقره عرف ولا دين .

٣) تــصوير المهجــو بصورة ساخرة تحمل علي الضحك منه ومن قبيلته .

هــذه الدعائم الثلاث لفن الهجاء بالإضافة إلي الفخر لا تكاد نقيضة تخلــو مــنها كنقائض جرير والفرزدق والأخطل وأحياناً كان الفخر يختلط بالهجاء في النقيضة الواحدة .

إلــي جانب هذه الدعائم الثلاث كان لكل شاعر من شعراء النقائض طــوابعه الهجائــية الخاصة فجرير كان يعني بتصوير خصمه في صــورة تبعث علي السخرية وتشي بالتهكم والضحك أكثر مما يعني بالغوص وراء المعني الطريف .

علــي حــين كان الفرزدق يمتلك طاقة تخيلية كبيرة أوسع مما هي علــيه لدي جرير ، وكان أكثر ابتكارا للمعاني بيد أن صعوبة شعره حدت من انتشاره وطيرت سهولة شعر جرير شهرته في الآفاق .

أما الأخطل فكان أقل من صاحبيه في البذاءة والفحش ولعل اتصاله ببلاط الدولة وراء هذه القلة ، إلا أن هجاءه لم يخل منه خلوا تاماً .

خصائص شعر النقائض

١) الإفحاش في الهجاء : فقد هتك شعراء النقائض الأعراض وأباحوا الحرمات وصوروا العورات واختلقوا الشائعات ووصفوا ذلك بلغة مكشوفة وأسلوب صريح دون تعريض أو تلميح ، ويكفي أن بني مجاشع زعموا أنهم لم يهجوا بشئ أشد عليهم من قول جرير .

نكحت نساؤكم بغير مهور

وقال جرير : ما هجينا بشئ قط أشد علينا من قول الأخطل :

ما زال فينا رباط الخيل معلمة وفي كليب رباط الذل والعار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي علي النار

فتمنع البول شحاً أن تجود به ولا تجود به إلا بمقدار

٢) توليد المعاني وابتكار الصور : وذلك سعياً وراء التفوق وهروباً من اجترار المعاني القديمة ، وربما كان الباعث علي ذلك أيضا ما أثر عن محدودية المعاني التي يتناولها شعراء النقائض ، فكأنهم هربوا من استخدام الصور المستهلكة والمعاني الخلقة التي يمجها الذوق .

٣) الميل إلي الاستقصاء : فكان شاعر النقيضة لا يترك عار إلا ويرصده ولا بسيط إلا ويضخمه ثم يهاجم خصمه من كل الجهات ويسلب مآثره وينسبها إلي نفسه وقومه ويذكر ما كان من أيام قومه في الجاهلية والإسلام وما كان من بطولاتهم وقوة شكيمتهم وعلو همتهم ، مع وعد بإحراز أمجاد طريفة لا يقل أمرها عن نظيرتها التليدة .

٤) طول القصائد : إذ تتجاوز النقيضة غالباً مائة بيت مما يوحي بأن النقيضة الأموية تعدت مرحلة المقطوعات الهجائية ، وأنها أصبحت مسألة هجاء معقد يقوم علي الدرس والتنقيب في أغوار القبائل والأحساب والأنساب ، والدافع وراء ذلك هو أن ينال الشاعر من خصمه ، ويثبت المجد لقومه .

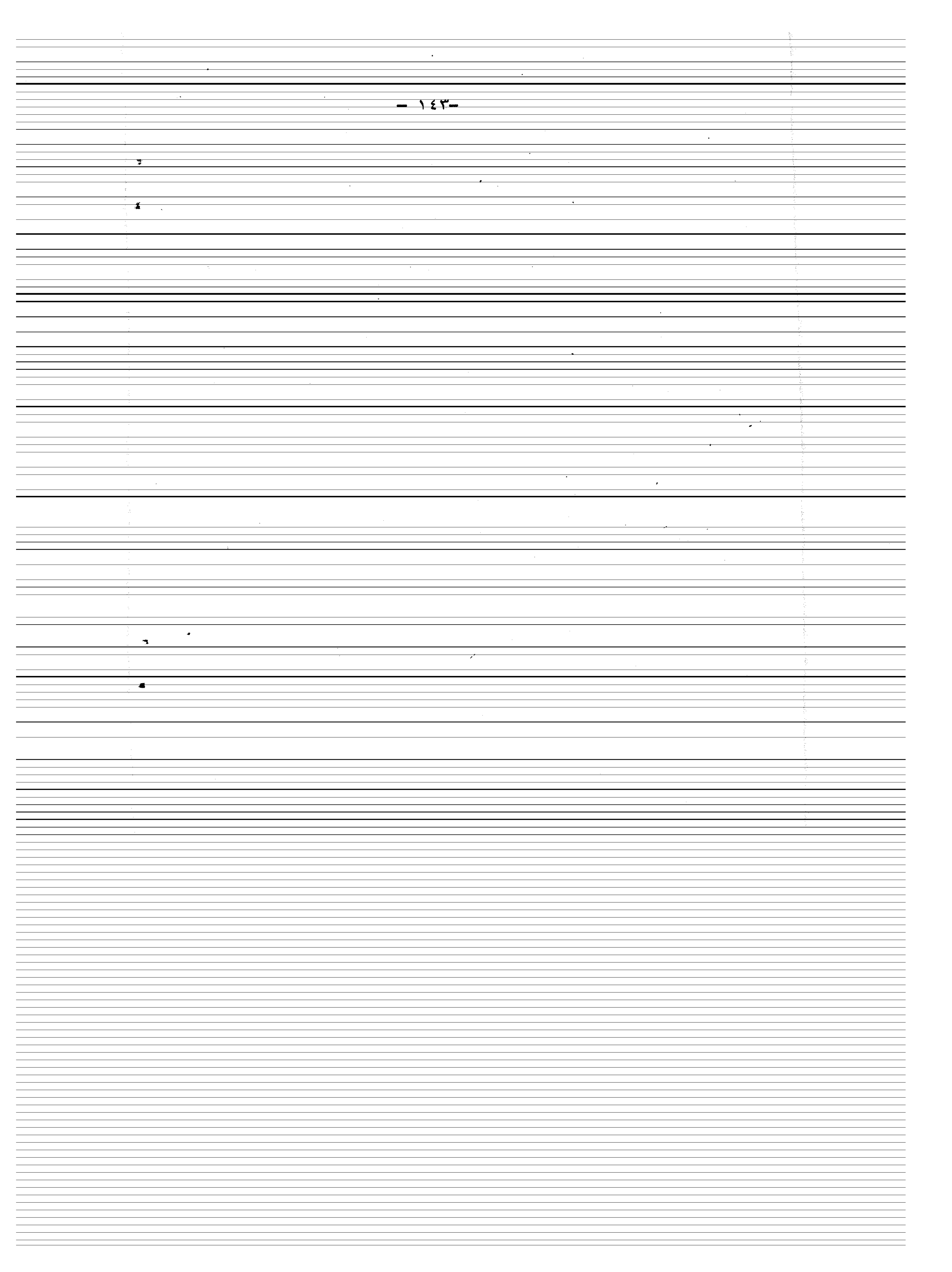
٥) الجزالة اللفظية : تميزت النقائض الأموية بجزالة اللفظ ، ومتانة السبك وضخامة العبارة ، ولا غرابة في ذلك فقد كان شعراء النقائض يشبهون الشعراء الجاهليين في الأساليب ، بل وكانت نشأة بعضهم كجرير والأخطل في كنف البادية وبين أهلها ، وكان لهذه النشأة أثرها في طبع شعرهم بهذه الجزالة وتلك المتانة مع بساطة المعني ، كما انعكس طابع البداوة علي صورهم وأخيلتهم أيضاً ، ولذلك راح أهل البادية يعجبون بشعر جرير لما رأوا فيه من

جـــزالة ، وراح أيضا أبو عمر بن العلاء يقول في الفرزدق "لم أر بدوياً أقام في الحضر إلا فسد لسانه غير الفرزدق ورؤبة .

٦) الاعتماد علي أسلوب الموازنة والمقارنة والمقابلة

وهو أسلوب لجأ إليه الشعراء لتوضيح أفكارهم وتجليتها حتي تزداد قـــوة وثباتاً في أذهان المتلقين . فلقد قارن الشعراء ووازنوا وقابلوا وتحدوا أحيانا بهذه الوسيلة .

– وأخيـــراً فإن بعض شعراء النقائض قد أحس بعظم جرمه وشناعة ما قذف من أعراض وهتك من ستر المحصنات ، لذا راحوا يثوبون إلـــي رشـــدهم وأعلـــنوا توبتهم تكفيراً عما قالوا وما فعلوه حتي أن الفرزدق قد تنسك في أواخر أيامه ، وتعلق بأستار الكعبة وعاهد الله ألا يكذب في شعره ولا يشتم مسلماً ما دام حياً .



الباب الثالث

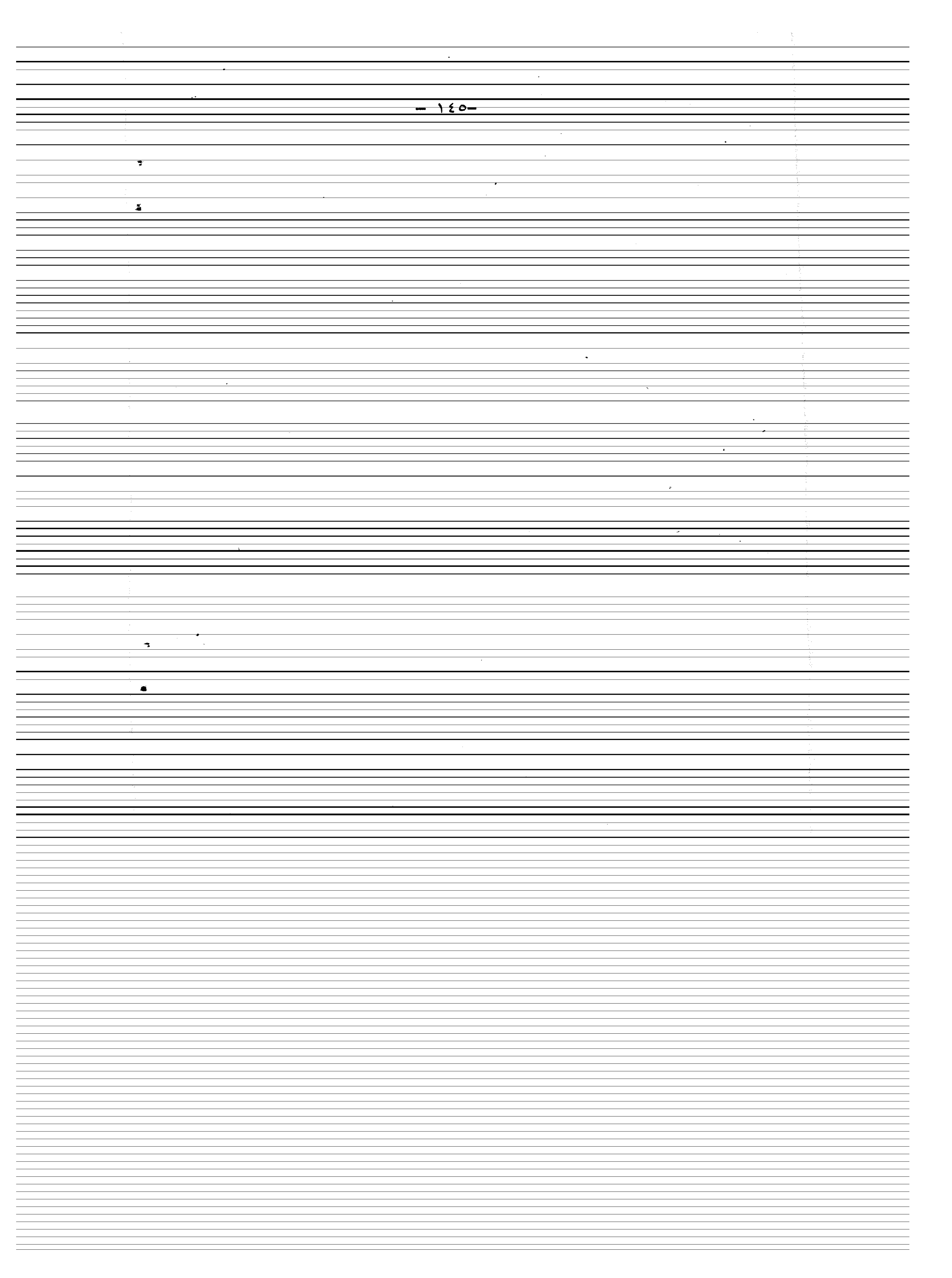
النقد تجاه الثقافة

الفصل الأول : شيوع البديع وظهور مذهب الصنعة

عمود الشعر عند النقاد العرب

الفصل الثاني : النقاد العرب ومذاهبهم

الفصل الثالث : شخصيات ناقدة



الفصل الأول

شيوع البديع وظهور مذهب الصنعة :

أول مـــن ألف في البديع كتاباً عبد الله بن المعتز ، وكانت غايته منه الـــرد علي الشعوبية وبيان أن المحدثين من الشعراء لم ينشئوا البديع إنشاء ، وإنما نموا صوراً منه وجدوها في كلام العرب وأشعارهم .

وبنـــي ابـــن المعتـــز كـــتابه علي أبواب خمسة هي باب الاستعارة والتجنـــيس والمطابقـــة ورد أعجاز الكلام علي ما تقدمها والمذهب الكلامـــي . ولما فرغ من بيان هذه الألوان تحدث عما سماه محاسن الكـــلام وردهـــا إلـــي أربعة عشر لوناً وهي الالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج من معني إلي معني وتأكيد المدح بما يشبه الـــذم وتجاهـــل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعـــريض والكناية وحسن التشبيه وحسن الابتداءات والإفراط في الـــصفة وإعنات الشاعر نفسه في القوافي وجاء بعده قدامة فأضاف إلـــي هذه الألوان ألوانا أخري أهمها صحة الأقسام وصحة المقابلات وائـــتلاف اللفظ مع المعني وائتلاف القافية مع بقية البيت والتوشيح والإيغال .

وخلف من بعد قدامة وابن المعتز أبو هلال العسكري فأضاف ألواناً جديـــدة، ثم جاء من بعده ابن رشيق فبلغ بهذه الألوان نحو السبعين

وما زال المؤلفون في النقد والبيان يزيدون فيها ويضيفون حتي ألف أسامة بن منقذ المتوفي سنة ٥٨٤ كتابه " البديع في نقد الشعر " وقد جعلـه فـي خمسة وتسعين باباً وخلفه ابن أبي الإصبع المصري المتوفي سنة ٦٤٥ ونراه يؤلف في ألوان البديع كتابين هما " تحرير التحبيـر " و " بدائع القرآن " وعنده بلغت هذه الألوان مائة وخمسة وعشرين لوناً .

وهـذه الكثـرة من الألوان تحمل كثرة من المصطلحات والألقاب ، وهي كثرة متعبة لا للقارئ فحسب ، بل أيضا لهؤلاء المؤلفين الذين كدوا عقولهم وأجهدوها في وضع الأسماء والمصطلحات ، إذ أخذوا يحاولون التميز بين صور التعبير ، وكلما رأوا صيغة جديدة سموها اسماً ، وكثيراً ما تتشابك الأسماء وصور التعبير التي تدل عليها .

وتحـولت المسألة إلي ما يشبه السباق ، فكل يؤلف في البديع ، وكل يحاول أن يضيف مصطلحاً أو لقباً ، وتتكاثر الألقاب والمصطلحات وتقفـز مـن حين إلي حين قفزة واسعة ، إذ يسجل أحد المتسابقين رقماً عالياً .

وما تزال هذه القفزات والتسجيلات تتوالي حين يبلغ الرقم نحو مائة وأربعـين ، ويتفنن المتسابقون في طريقة عرضهم لمبتكراتهم ، ولا نلـبث أن نجـد صفي الدين الحلي المتوفي سنة ٧٥٠ للهجرة يؤلف

قـصيدة فـي مديح الرسول تجمع ألوان البديع وتضم أنواعه ، وقد سماها الكافية البديعية في المدائح النبوية ومطلعها :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم

واقر السلام علي عرب بذي سلم

وكانـت هذه أولي البديعيات ، وطريقته أن يجعل كل بيت فيه شاهداً علـي لـون أو نوع من أنواع البديع ، وكتب لها شرحاً يوضحها .

وتعاقبت البديعيات أو هذه القصائد النبوية البديعية من بعده فألف تقي الدين بن حجة الحموي بديعية افتتحها بقوله :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم

براعـة تسهل الدمع في العلـم

والتـزم فيها وزن بديعية صفي الدين وهو البسيط ، كما التزم قافيها وأكثـر مـن ذلـك نراه يلتزم تسمية النوع البديعي الذي يشير إليه البيت .

وألـف علي بديعية شرحاً طويلا سماه " خزانة الأدب " أكثر فيه من الشواهد والأمثلة . وتوالت هذه البديعات ، وتوالت الشروح .

وواضح أن هذه البديعات لم يكن الغرض منها مدح الرسول – صلي الله عليه وسلم – وإنما كان الغرض أن تجمع كل أنواع البديع وفنونه فـي قـصائد تعليمية تقصد إلي تعليم الناشئة صور البديع ومحسناته اللفظـية والمعـنوية ، وتأخـذ القصيدة شكل متن موجز ، أو شكل

تلخيص مجمل ، وهو تلخيص فيه صعوبة وفيه ما يشبه الألغاز ، ولذلك يعود الناظم فيشرحه حتي يفهم .

وعلي هذا النحو نصل في البديع إلي أبعد الاختصارات والتلخيصات ، ثم نحتاج إلي الشروح المطولة ، لكي نطلع علي ما يريد المختصرون والملخصون ، وقلما أفدنا من هذا أو ذاك فائدة ، وكيف نفيد وقد اختلط المهم بغير المهم والبديع الحقيقي بالمزيف ، فقد جعلوا كل صيغة في الأدب لوناً من ألوان البديع ، ولم يميزوا بين المحسن وغير المحسن وما من شأنه أن يضيف إلي التعبير جمالا وما لا يضيف . ومن هنا كنا نقرأ في هذه البديعيات فنحس أنها شئ غث لا فائدة فيه ولا طائل تحته لكثرة ما تحشد من مصطلحات فارغة لا تحوي أي حسن ولا أي جمال .

عمود الشعر عند نقاد العرب

كثيــرا مــا يتردد تعبير عمود الشعر عند نقاد العرب فيقولون عن شــاعر إنه لم يفارق عمود الشعر بينما يصفون آخر بأنه فارق هذا العمود .

وذلــك التعبيــر مــنهم يدل علي أنهم يقصدون بعمود الشعر تقاليده المتوارثة والمبادئ التي سبق بها الشعراء الأولون واقتفاها من جاء بعدهم ، حتى صارت سنة متبعة وعرفا متوارثاً

ويدلــنا علــي أن المــراد بعمــود الــشعر مــا ذكــرناه قــول المرزقي : (...... الواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عــند العرب ، ليتميز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض مــن الحديث ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم إقــدام المــزيفين علي ما زيفوه ويعلم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأتي السمح علي الأبي الصعب) .[١]

ومــضي المرزوقــي يبين هذه التقاليد التي يبني منها عمود الشعر فقــال (إنهــم كانــوا يحاولون شرف المعني وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثــرت سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات – والمقاربة في التشبيه ، والــتحام أجــزاء النظم والتئامها علي تخير من لذيذ الوزن ومناسبة

---

[١] مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزوقي صـــ ٨ ، ٩ .

المستعار منه للمستعار له و ومشاكلة اللفظ للمعني وشدة اقتضائهما للقافية ، حتى لا منافرة بينهما – فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها عيار [1]

ويعني المرزوقي بالعيار ما يعرض عليه كل واحد من هذه السبعة فيقبله أو يرفضه

فعيار المعني : أن يعرض علي العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فالعقل إذا هو الحكم الذي يفصل في صحة المعني وخطئه ، فإذا قبله العقل واقتنع به كان مقبولا ، وإلا نقص بمقدار ما فيه من باطل وخطأ ، والعقل الصحيح يحكم علي المعني بعد أن يعرضه علي واقع الحياة حينا ، وعلي معارف العلم حينا آخر .

وعيار اللفظ : الذوق المرهف الذي هذبته الرواية ، وصقلته الثقافة ، فعرف السلس والثقيل ، والمألوف والمهجور ، والدقيق في أداء المعني والبعيد الذي لم يوفق الشاعر في اختياره ليؤدي المعني الذي أراد .

وعيار الإصابة : في الوصف ما أوتيه الأديب من ذكاء وحسن تمييز فبهما يدرك ما هو أشد لصوقا بالشئ ، فيكون من صفاته الأساسية ، وما لا يكون ذا لصوق وامتزاج به ، فلا يكون من الصفات الأساسية وليس المراد بالوصف هنا باب الوصف وحده ، ولكن الشعر كله

---

(1) السابق صـ ٩ .

وصـــف ، فالغـــزل وصف الحبيب والحب ، والرثاء وصف المرثي والآلام الناشئة عن موته والمدح وصف الممدوح ، وهكذا ، فالذكاء وحسن التمييز كفيلان بمعرفة صفات الشئ الجوهرية الحقيقية .

وعـــيار المقاربـــة في التشبيه ، التفطن لما بين الأشياء من صلات وحـــسن تقديـــر هذه الصلات حتى يوقع التشبيه بين أبرزها وأشدها وضـــوحاً ويـــتحقق ذلك عند المرزوقي إذا أوقع التشبيه بين شيئين اشـــتراكهما فـــي الـــصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه الشبه بلا كلفـــة ، إلا أن يكـــون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكهـــا لـــه ، لأنـــه حينئذ يدل علي نفسه ، ويحميه من الغموض والالتباس [١]

وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه علي تخير من لذيذ الوزن : الطبع واللـــسان ، فما لم يستثقله الذوق من الأبنية ،ولم يحتبس اللسان في الـــنطق به ، بل استمرا فيه واستسهلاه ، بلا ملال ولا كلال ، فذلك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة ، لأن أجزاءه ســـليمة مـــتقاربة وتخيـــر لذيـــذ الوزن يطرب الذوق بحسن إيقاعه واعـــتدال نظمـــه ، كما يطرب الفهم بصواب تركيبه بل لا بأس من الالـــتجاء إلـــي الغناء لاختبار الشعر ، ومعرفة مدي جمال إيقاعه .

وعـــيار الاستعارة ، كعيار التشبيه : الفطنة وحسن التنبه ، وبما أنها

---

(١) السابق نفسه .

مبنـــية علي التشبيه ، ينبغي أن يكون التشبيه في الأصل قريبا حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم يحذف أحد الطرفين

وعيار مشاكلة اللفظ للمعني وشدة اقتضائهما للقافية : الدربة الطويلة والمدارســة الدائمــة فــإذا حكمــا بــأن اللفــظ يؤدي المعني تمام الأداء ، ليس فيه جفوة ولا نبو ، ولا زيادة ولا قصور ، وكان اللفظ مقــسوما علــي مقاديــر المعاني قد حمل الأخص للأخص والأخس للأخــس فهو البرئ من العيب وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر ، يتم بها المعني ، ويستوفي بها كماله وإلا كانت قلقة في مقرها ، مجتلبة لمستغن عنها .

فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبني شعره عليها ، فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم ، ومن لم يجمعها كلها فبقدر مهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن .

ونــستطيع أن نجمــل ما فصله المرزوقي في وصف عمود الشعر ونــري تلــك الصفات منها ما يعود إلي اللفظ ، ومنها ما يعود إلي الأسلوب ومنها ما يعود إلي الخيال .

فالــذي يتطلــبه عمــود الشعرَ في المعني أن يكون شريفاً صحيحاً مــصيباً ، وفــي اللفــظ أن يكون جزلا مشاكلا للمعني المراد وفي الأســلوب أن يكــون متلائما موحد النسيج ، متخير الوزن ، يتطلب

لفظـــه ومعـــناه القافـــية ، يـــتم بها أداء المعني ، وفي الخيال قرب التشبيه ، ومناسبة المستعار منه المستعار له .

أما ما يحتاج إليه الأديب ليصل بأدبه إلي هذه الغاية المثلي في الشعر فموهبة فطرية عبر عنها المرزوقي بالطبع ، وذكاء يميز بين الأمور ويحـــسن تقديـــرها ، وذوق يـــدرك مـــا فـــي الأوزان مـــن جمال وعـــيب ، وثقافة أدبية واسعة تعتمد علي الرواية ، لتعرف المستعمل والمهمـــل والدقـــيق من الألفاظ ، والجافي النابي ، وعلي المدارسة والاتصال بالنصوص الأدبية اتصال فهم وتدبر لمنهج الكلام ، حتى يعرف أسباب جماله وعلي طول الدربة والمرانة علي الانتاج وذلك كله تعبير عن النظرة العربية للشعر والشاعر .

وعلي هذا الأساس يعرف مدي التزام الشاعر عمود الشعر ، ومدي مفارقـــته إياه فهذا الشاعر الذي لا يعني بالإصابة فيما يصف فينسب إلـــي الشئ ما ليس له ، ولا يعني بصحة المعني ولا بدقته (وينبغي أن أوجـــه النظـــر إلـــي أن المعني هنا يشمل العاطفة أيضاً وصحة المعنـــي فـــيها معناه صدق الشعور بها) فهذا الشاعر الذي لا يعني بتصوير عاطفة صحيحة ، أو يتجه إلي الصنعة والزخرف المتكلف وإن مـــات المعنـــي في يده وهذا الذي لا يعني بانتقاء ألفاظه بحيث تكون نبيلة نصا في المعني دقيقة في أدائه ومشاكلة له ولا يعني بأن يكون نسج قصيدته موحدا متلائما ، لا يرتفع حيناً وينحط حيناً آخر

ولا يعنـــي بتخيــر الـــوزن وســـواء أجـــاء زحاف في وزنه أم لم يجـــئ ، ارتكـــب ضـــرورة أم لـــم يـــرتكب ، غمـــض المعني أم اتـــضح ، قـــرب التشبيه أم بعد ظهرت الاستعارة أم خفي فيها وجه الـــشبه ، هـــذا الـــشاعر مفارق عمود الشعر ، بمقدار بعده عن هذه الأصول تكون مفارقته لهذا العمود .

وهؤلاء الشعراء الذين يغوصون علي المعاني ، ويريدون استخراج غريبها ونادرها ، ولا يعنيهم أن توضع هذه المعاني في أي أسلوب وفي أي عبارة ، مفارقون لعمود الشعر مبتعدون عن تقاليده .

وهـــؤلاء الذي يعنيهم أمر الجناس والمطابقة وفنون البديع أكثر مما يعنيهم أمر المعني ووضوحه وصحته ، بل لا يبالون أن يغمض إذا ســـلم لهم فن من فنون المحسنات البديعية هؤلاء كذلك مبتعدون عن عمود الشعر وتقاليده .

والبحتري عند نقاد العرب ممن التزموا عمود الشعر ، ولم يفارقوه ، بيـــنما فـــارق أبو تمام هذا العمود في كثير من شعره الذي عني فيه بأمر المحسنات وهكذا نستطيع أن نحكم علي المتكلف بأنه بعيد عن عمود الشعر وتقاليده الصالحة .

الفصل الثاني : النقاد العرب ومذاهبهم

كان النقد في مبدأ الأمر أولياً فطرياً كما سبق أن ذكر ، لا يعتمد إلا علـــي الذوق الخالص ولا يسلك سبيل التحليل والتعليل فكان الرجل يستمع إلي قصيدة من القصائد ، أو إلي بيت أو أبيات منها فيتأثر بها فيصدر عليها حكماً عاماً بالجودة والاستحسان أو القبح والاستهجان ولا يزيد شيئاً علي ذلك وقد عرف هذا اللون من النقد بهذه الطريقة في العصر الجاهلي .

فـــإذا جاء العصر الإسلامي ظل النقد علي ما كان عليه ذاتياً تأثرياً يعـــتمد علـــي الـــسليقة والفطرة ، فإذا مضينا مع الزمن وجدنا النقد يحـــاول أن يـــتجاوز هذه المرحلة التأثرية إلي مرحلة تعليلية تحمل أسباباً وعللاً للأحكام وبهذا الإتجاه بدأ النقد يضع قواعد وأصولا لما يستحسن أو يستقبح من الآثار الأدبية .

بدأ النقد العربي يسلك هذا المنهج علي يد الناقد ابن سلام الجمحي إذا أخـــرج للمكتـــبة العربية كتابه القيم " طبقات فحول الشعراء " الذي ضـــمنه نظرات نقدية جديدة تدل علي بصر وبصيرة بالأثر الأدبي وبالنقد المبني علي ذلك الأثر .

وفـــي كـــتابه استعرض ابن سلام صورة النقد في عصري الجاهلية وصـــدر الإســـلام وهـــي نقـــدات متعلقة باللغة والصياغة والجرس الموسيقي،وذلك كالذي أخذوه علي النابغة الذبياني من أنه كان يقوي

فـــي شـــعره (١) ومع أن ابن سلام اعتمد في تصنيفه علي شئ من المـــنهج التاريخـــي عـــندما صنف الشعراء إلي مجموعات جاهلية وإســـلامية .... الـــخ فإنـــه يقرر ضرورة الخبرة والممارسة والـــتذوق الفنـــي والمران وكل هذه تتعلق بالجوانب الفنية في النقد الأدبي .

يقـــول ابـــن سلام : (للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما تثقفه العين ومـــنها ما تثقفه الأذن ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة و ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا وسم ولا صفة ويعرفه الـــناقد عـــند المعاينة فيعرفها بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها (٢) ومـــنها البـــصر بغـــريب النخل .... وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به) (٣)

ثـــم يخطـــو الـــنقد خطـــوة أخـــري إلي الأمام وذلك علي يد الناقد العـــالم (ابن قتيبة الدينوري) الذي حاول أن يضع قواعد وأصولا

(١) أي تختلف حركة الروي في أبياته

(٢) الجهبذة : نقد الزيوف والصحيح من الدنانير والدراهم ، البهرج : الردئ ، الستوق : الزائف ، المفرغ : المصمت الذي لا يسمع لرنينه صوت

٢) طبقات فحول الشعراء صـــــــ ٦، ٧

لنقد الشعر فله نظرته به في الحكم علي الشعراء فهو يري تقديم من يستحق التقديم وتأخير من يستحق التأخير فليس السبق الزمني عنده موجباً للتقديم والتقدير كما أن التأخر في الزمن ليس موجباً للنكران والتحقير ، وهو بذلك يفصح عن منهجه الذي لا يقلد فيه أحدا فهو لا يجاري من سبقوه في استحسان من استحسنوه ، أو استقباح من استقبحوه يقول ابن قتيبة : (ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره و لا نظرت إلي المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه و لا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره .... فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله .... ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ورأي قائله ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة علي زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده وجعل كل قديم منهم حديثاً في عصره .... فكل من أتي بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه به ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله و لا حداثة سنه كما أن الردئ إذا أورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه [(١)] كما نراه يقسم الشعر إلي تقسيمات وهي عنده أربعة أضرب : ضرب حسن لفظه وجاد معناه وضرب حسن

---

(١) الشعر والشعراء : المقدمة صـ ٢

لفظـــه وحلا وليس تحته طائل ، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه وضـــرب تأخـــر لفظه ومعناه ، ثم يضرب الأمثلة لكل نوع ويعلق عليها وينقدها نقداً بعيداً عن التعليل .

– ويأتـــي بعده قدامة بن جعفر فيؤلف كتابه " نقد الشعر " الذي يبين لنا فيه اتجاهه في النقد ولكنه اتجاه جديد علي النقد الأدبي فهو اتجاه فلـــسفي منطقـــي علمي وهي محاولة لم تفدنا كثيرا في مجال النقد ، وذلـــك أنـــه حـــاول أن يطبق علي الشعر ونقده هذه الأقيسة العقلية المنطقية الجافة وكتابه " نقد الشعر " حوي ثلاثة أقسام :

الأول : تـــناول فـــيه تعـــريف الشعر وبيان حده ، وفصل القول في عناصره الأربعة وهي اللفظ ، والوزن ، والقافية ، والمعني

الثاني : فصل فيه قدامة وجوه الحسن في المعاني الشعرية

الثالث : فصل فيه عيوب المعاني .

وأخذ بعد ذلك في تقسيمات وتفريعات لكل قسم من هذه الأقسام .

وقدامـــة في منهجه هذا وفي تفصيلاته متاثر بأرسطو في حديثه عن الـــشعر ومـــن خلالـــه يظهر لنا أطلاعه علي الفلسفه اليونانية التي كانـــت قـــد تـــرجمت في هذا العصر و ومما يؤخذ علي قدامة أنه عـــد " التـــشبيه " غرضا متسقلاً من أغراض الشعر ، والتشبيه إنما يدخل في باب الوصف .

كمـــا أنـــه حـــين عدد أغراضه الشعر اغفل أغراضاً معروفة لدي الشعراء وذلك كالفخر والعتاب والحكمة

وهـــا هـــو ذا الآمـــدي المتوفـــي ســـنه ٣٧١ هـــ وقد أخرج كتابه " الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري " وسار فيه علي مراعاة القيم التعبيرية والمعنوية فقد تناول في نقده الألفاظ والمعاني وتحدث عما يستجاد منها وما يستقبح ويعاب .

ثـــم يـــتحدث عن الشعر فيذكر أن له دعائم أربع هي : جودة الآلة وإصـــابة الغرض وصحة التأليف وتمام الصنعة فإذا استوفي الشاعر هـــذه الدعائم وأضاف إليها معني لطيفا مستغربا فذلك مما يزيد في حسن صنعته وتمام جودتها .

ثـــم عقد فصلا نقديا بين فيه الحاجة إلي الدربة في فن النقد و وقرر أن العلـــم بالشعر لا يجوز أن يدعيه كل إنسان ولا يتعاطاه من ليس مـــن أهلـــه ، وألا يتعرض له إلا من عرف بكثرة النظر في الشعر وطوله الممارسة والارتياض .

ثـــم يتعـــرض الآمدي في كتابه إلي الحديث عن السرقات الشعرية والـــسابق فـــي المعاني والتعبيرات واللاحق منها وهو خلال حديثه عنها وعن الموازنة بين الشعراء كان لا يتوسع في التعليل وإنما هي تعلـــيقات مقتضبة لا توضح أسبابا لا للحسن ولا للقبح وهو بذلك قد ألم ببعض المباحث الداخلة في إطار المنهج التاريخي .

ثم يأتي القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني و وعلي يديه يخطو النقد الأدبي خطوة واسعة علي طريق المنهج الفني ، فله في هذا المجال نظرات نقدية جيدة ، وعنده أن الشعر صناعة وأن هذه الصناعة لها أهلها الذين يرجع إليهم في خصائصها ، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها

ويري كذلك أن الشئ قد يكون متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا ويكون جيدا وثيقا ولا يكون لطيفا رشيقا ومن ثم ينبغي الرجوع في شأن هذه الصناعة إلي أهلها الخبيرين بها المتمرسين بطول الدربة ودائم الملابسة .

وهو إذا وازن بين بعض المعاني أو التعبيرات تجده يبدي أسبابا وعللا لما يستحسن أو يستقبح .

ونري كذلك – القاضي الجرجاني ينعي علي من يلهج بعيب المتأخرين وأن أحدهم قد ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ويعجب منه ويختاره فإذا نسب إلي بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ونقض قوله .

ويأتي الأمام عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ هـ فيقوم بذلك الدور الذي يجعله بحق الناقد الفذ بين النقاد والبلاغيين ، فقد كان عمله يختلف عن عمل من سبقوه ، ذلك أنه حاول أن يضع قواعد وأصولا فنية للجمال الفني كما حاول أن يضع قواعد نفسية

للـــبلاغة وقد تأثر تأثراً ما بالمنطق والفلسفة اليونانيين وللأمام عبد القاهـــر في مجال النقد الأدبي والبلاغة العربية كتابان هما (دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة) وفي كتابه الأول يصل إلي تقرير هذه النظـــرية الـــشهيرة التـــي كـــان هو أول من قررها في تاريخ النقد العربـــي وهـــي التي تعرف بـــــــ " نظرية النظم " وملخص هذه النظـــرية : أن ترتيب المعاني في الذهن يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة ، وأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وإنما تثبت لها الفضيلة وتتحقق لها المزية في تناسق معني اللفظ مع معني اللفظ الذي يجاوره في النظم أي اتساق الألفـــاظ والمعانـــي بحيث يظهر لنا من خلال النظم جمال الكلمات والمعانـــي مجـــتمعة ، ومن ثم كان الجمال الفني عنده رهين بحسن النسق أو حسن النظم .

ومن ثم أخذ عبد القاهر يدرس اللفظ حين يطلق ويراد به غير ظاهره مـــن مجاز وكناية ، ويدرس كذلك أشهر أنواع المجاز من الاستعارة والتمثيل ووجوه حسنهما .... الخ .

ونراه وهو يشرح لنا نظريته في النظم ينكر أن يكون التفاضل باللفظ وحده دون المعني ، وهو بذلك يرد ما قاله الجاحظ من أن (المعاني مطـــروحة فـــي الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ .... الخ .

يـــرد عبد القاهر هذا الرأي الذي ذهب إليه الجاحظ لأنه بذلك يسقط فضل المعاني .

لقد كان لعبد القاهر من ذوقه الأدبي وحسه الفني هاد ومرشد يرشده إلـــي مـــواطن الحسن والجمال في الأثر الأدبي ، لذا نراه يفوق من سبقه من النقاد ويخالفهم في كثير مما ذهبوا إليه .

الفصل الثالث : شخصيات ناقدة

من النقاد القدامي

١) ابن سلام الجمحي :

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصري ، من أعلام الأدب والنقد والرواية في القرن الثالث الهجري .

ولد ابن سلام الجمحي في البصرة سنة ١٣٩ هـ ، ونشأ في بيت علم وأدب ، وتتلمذ علي أبيه وغيره من أعلام البصرة ، وفي مقدمتهم : أبو عمرو بن العلاء رائد مدرسة البصرة في الرواية ، وكان من مؤسسي المدرسة النحوية في البصرة وأحد القراء السبعة الذين أخذت عنهم تلاوة الذكر الحكيم ، وكان من أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب .

وتتلمذ كذلك ابن سلام علي الأصمعي الذي أشاد معاصروه ومن تلاهم بسعة علمه بالجاهلية وأشعارها وأخبارها ، وقالوا عنه إنه ثقة عدل .

كما تتلمذ ابن سلام علي يونس بن حبيب النحوي المشهور ، وغيرهم ما يربو علي المائة ، وقد ظل ابن سلام يطلب العلم في مظانه وكذلك الأدب حتي تم له ذلك وأمضي حياته في خدمته ، وقد توفي في بغداد سنة ٢٣١ هـ أو سنة ٢٣٢ عن عمر فاق التسعين عاماً .

كان ابن سلام متنوع المعارف واسع العلوم ، وكتبه التي ألفها توضح ذلـــك بجــلاء فقد ألف في الشعر ، وفي الشعراء ، وفي القرآن وفي الأخبار .... الخ

ومن هذه الكتب :

طبقات فحول الشعراء ، غريب القرآن ، بيوتات العرب ، وكتاب في الملح والأخبار والأشعار ، وكتاب في طبقات الشعر .

- ويعد كتاب " طبقات فحول الشعراء " فتحاً جديداً في مجال الأدب والـــرواية والنقد ، فقد أفاد مؤلفه من جهود معاصريه وآرائهم وغير فـــيها وبـــدل ومحص وهذب وأضاف إليها ما يتعلق بدراسة الشعر ونقده .

- كان ابن سلام يتمتع بروح علمية كبيرة تظهر وتتضح لنا قسماتها مـــن خــــلال دراسة كتابه " طبقات فحول الشعراء " فقد أثار في هذا الكتاب العديد من المسائل والقضايا التي عالجها بدقة ويقظة وإحاطة بما يدل علي تأصل الروح العلمية عنده .

- ومقدمـــة الكتاب حافلة بمسائل النقد وقضاياه ، فقد ذهب ابن سلام أن الـــشعر صناعة وثقافة ، وأن الذي يعرفه ويميز بينه وما يحتويه مـــن جـــوده وإحـــسان ، أو قبح واستهجان ، هم نقاده الخبيرون به القديرون علي تقويمه وإصدار الحكم عليه .[1]

---

[1] طبقات فحول الشعراء – السفر الأول صـــ ٥ ، مطبعة المدني .

- كمـــا عـــرض لنا ألوانا من جهل العلماء بالنقد ومعرفة الشعر ، وذكـــر من هؤلاء ابن اسحاق الذي روي شعراً علي ألسنة رجال لم يقولوا الشعر قط كما روي شعراً علي لسان عاد وثمود ، مع أن كل الدلائل تبين لنا أن هذه الأمم البائدة لم يبق أحد يستطيع أن يروي لها أو عنها .

- كمـــا يذكـــر لـــنا ابـــن سلام في مقدمة كتابه ، ضياع الكثير من نـــصوص الـــشعر الجاهلـــي [١] وذلك لعدم انتشار التدوين والكتابة والتقيـــيد ودلـــل علي ذلك بذهاب الكثير من شعر طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وهما من أقدم الشعراء .

كمـــا يذكر أنه لم يكن للعرب من الشعر قبل ذلك إلا الأبيات يقولها الـــرجل في حاجته ، وأن القصائد إنما قصدت ، وطول الشعر علي عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وأول من قصد القصائد هو المهلهل بن ربيعة التغلبي [٢].

- ويعرض ابن سلام لتنقل الشعر في العرب ، وأنه كان في ربيعة ، ثـــم تحول في قيس ، ثم آل تميم ، ويذكر أن حماداً الراوية كان أول من جمع أشعار العرب وروي أحاديثها .

---

[١] السابق صـــ ٢٥ ، ٢٦ .

[٢] السابق صـــ ٣٩ .

وقد عالج كتاب ابن سلام عدداً من القضايا والمسائل النقدية منها :

١) القضية الأولي :

تحقيق النصوص والتحقق من سلامة نسبتها إلي أصحابها :

وهي من أهم القضايا التي أثارها المؤلف ، وهي قضية الانتحال ، أو قضية الشعر الموضوع ومحاولة تحقيق النصوص وتوثيقها ، وتصحيح نسبتها إلي أصحابها وقد اتخذ ابن سلام لدارسة الشعر ونقده والحكم عليه منهجاً جديداً وهو أن أول ما يجب علي الناقد أو الدارس فعله تحقيق النص الأدبي ونسبته الصحيحة إلي قائله ، وذلك قبل أن يمضي في عمله في التعامل مع النص ، وإلا ذهب جهده هباء وصار منهجه غير قويم ولا سليم .

وقد أرجع بن سلام قضية انتحال الشعر وردها إلي عدة عوامل أهمها :

١- العامل الأول : القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتزيد في مناقبها وذلك لأنهم استقلوا شعر شعرائهم ، وما ضاع منه في الوقائع والأيام فقالوا شعراً علي ألسنة الشعراء ونسبوه إليهم مع أنهم لم ينطقوا به .

٢ - العامل الثاني : الرواة الوضاعون غير الموثوق بهم الذين كانوا ينحلون شعر الرجل لغيره وكان من أشهر هؤلاء الرواة الذين جمعوا أشعار العرب وساقوا أيامها " حماد عجرد " المعروف بحماد الراوية

وكان متهماً كثير الوضع ولا يوثق بما يرويه ، فكان ينظم علي لسان الجاهليين ما لم ينطقوا به وكثر منه ذلك حتي عرف به واشتهر .

٣- **العامل الثالث** : أن بعض من دونوا هذا الشعر فيما بعد كانوا من كتاب السير كمحمد بن إسحاق الذي نسب بعض الأشعار إلي عاد وثمود من أنهم لم يكونوا يتكلمون العربية ولم تكن له العربية لغة يقول ابن سلام : (وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غث منه ابن إسحاق بن يسار وكان من علماء الناس بالسير ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أوتي به فأحمله ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، ثم جاوز ذلك إلي عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس بشعر)

٤- **العامل الرابع** : أن كثيراً من الشعر ضاع بعد مجئ الإسلام ، حيث انصرف الناس عن روايته وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، فلما كثر الإسلام واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر

وقد قام ابن سلام بهذا الجهد ، فتعقب الشعر وتعرض للموضوع منه والمنتحل ، وناقش ذلك مناقشة علمية ، وأخذ يطعن فيه ، وأبطل نسبته إلي من نسب إليهم مستعيناً في ذلك بكافة الأدلة والبراهين .

٢) القضية الثانية :

قـــدرة الـــناقد علـــي تميز جيد الشعر من رديئه ، وعدته في ذلك

وهي من القضايا التي شغل بها ابن سلام ، وعالجها في كتابه ، فقد وجـــدناه يقـــرر أن الشعر صناعة يعرفها أهل البصر بالشعر ، وأن الخبـــرة الفنية والثقافة الأدبية والإلمام بفنون الشعر أمور ينبغي أن نتوافر في الناقد الأدبي .

وتتحقق هذه الأمور تبعاً للتجربة والممارسة الدائمة وكثرة المحفوظ والمـــدروس من الشعر إذن فهو يرفض الاعتماد علي الذوق وحده ، ويري أنه ليس كل فرد أهلاً للتمييز والنقد والحكم .

كمـــا يـــري ابن سلام أن الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، وينبغـــي علينـــا أن نترك الحكم للشعر أو عليه للخبير المتمرس ينقد ويفسر ويحلل ويميز جيده من رديئه .

قـــال ابن سلام : (الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصـــناف العلم والصناعات ، منها ما يثقفه الإنسان .... يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي إليها ، ولا علـــم يوقـــف عليه ، وإن كثرة المدارسة لتعدي علي العلم ، فكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به) .

القضية الثالثة :

تصنيف الشعراء في طبقات

في هذه القضية يتحدث ابن سلام عن الشعراء ويصنفهم في طبقات : فهناك طبقات الجاهليين وهناك طبقات الإسلاميين وصنف الجاهليين في عشر طبقات منهم أهل الوبر وأهل المدر ومنهم أهل البدو والحضر .

كما صنف الإسلاميين في عشر طبقات أيضا منهم طبقة فحول الإسلام .... الخ .

وهو في تصنيفه للجاهليين نراه يقرر أثر البيئة وأثر الزمان في تكوين الملكات الشعرية ، كما أخذ يفاضل بين الشعراء علي أسس منها : كثرة النتاج الشعري وجودته وتعدد أغراضه والزمان والمكان [١]

كما نراه يعلل قلة الشعر في مكان ، وكثرته في آخر تعليلا مقبولاً إذا يقول : (وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج بالمدينة ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا) [٢]

---

[١] نصوص نقدية / محمد السعدي فرهود صـ ٦،٧ .

[٢] السابق صـ ٢١٧ .

وقــد أورد ابن سلام في كتابه الكثير من الآراء والأحكام المختلفة ، ونــراه يــذهب إلي أن امرأ القيس أسبق العرب إلي أشياء ابتدعها استحــسنتها العــرب واتبعــته فيها الشعراء منها استيقاف صحبه ، والــبكاء علي الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ...... وإجادة التشبيه) [١]

[١] طبقات فحول الشعراء صـــ ٤٦ .

٢) ابن قتيبة الدينوري

هو أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد في الكوفة سنة ٢١٣ هـ علي أرجح الأقوال ، وهو من أصل فارسي ، عاش معظم حياته في " بغداد " عاصمة الخلافة العباسية ، وولي القضاء في بلدة تسمي " دينور " أو " الدينور " ولذلك ينسب إليها فيقال الدينوري .

عرف ابن قتيبة باتساع أفقه ، وغزارة علمه ، ووفرة معرفته ، وكان فقيهاً ورعاً يتسم بالجد والوقار ، وقد تزعم أهل السنة ودافع عن مذهبهم ضد علماء الكلام ، ونتيجة لذلك تعرض لحملات شرسة من المعتزلة وكذلك من أهل الرأي والقياس من السنة لأنه كان يتمسك بظاهر الأحاديث .

- وقد أصيب ابن قتيبة بالتسمم ومات نتيجة أكلة فاسدة ، واختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل : توفي سنة ٢٧١ هـ وقيل : توفي سنة ٢٧٦ هـ وهو الأرجح .

- خلف ابن قتيبة تراثاً ضخماً من المؤلفات تزخر به المكتبة العربية في شتي العلوم والمعارف ومن مؤلفاته :

- **كتاب المعاني الكبير** : وفيه يتحدث عن أبيات المعاني التي تحمل ألفاظها شيئاً من الغموض والتعمية ، وهو كتاب أدب جيد .

- **كتاب العرب أو فضل العرب** : وهو يدافع فيه عن العرب ويبين فضلهم ويرد علي الشعوبيين علي الرغم من أصله الفارسي ، ومرد ذلك إلي حبه للرسول (ص) .

- **كتاب عيون الأخبار** : وهو مجموعة كبيرة من الأشعار والآثار والخطب والأمثال والطرائف ، وقسمه ابن قتيبة إلي عشرة أقسام ، سمي كل قسم منها كتاباً ككتاب السلطان ، والحرب ، والشرف ، والأخلاق ، والعلم ، والزهد ، والأخوان ، والحوائج ، والطعام ، والنساء وتحت كل عنوان يجمع ويسوق الشواهد والآثار والأخبار والأشعار التي تخص العنوان .

- **كتاب الأنواء** : وتحدث فيه عن الظواهر الفلكية كالسحاب والمطر والرياح والشمس والقمر .... الخ .

- **كتاب الميسر والقداح** : وفيه تحدث عن أنواع الميسر وأدواته ، وعن القداح وأنواعها .

- **كتاب الأشربة** : وذكر فيه أنواع الأشربة مبيناً الحلال منها والحرام .

- **غريب القرآن ومشكله** : وقد شرح ابن قتيبة في هذين الكتابين الآيات القرآنية المتشابهة وأوضح معانيها وشرح غريبها وغرضها وألفاظها .

- **كتاب المعارف** : وهو كتاب في التاريخ تحدث فيه عن تاريخ البشرية منذ آدم عليه السلام والطوفان ، وسير الأنبياء والرسل ، كما تحدث عن الرسول (صلي الله عليه وسلم) وصحابته وتاريخ الخلفاء والدولة الأموية والفرق التي قامت في عهدها .

- **كتاب أدب الكاتب** : وقد دفعه إلي تأليف هذا الكتاب ما لاحظه من أن أغلب الأدباء والكتاب في عصره قد ابتعدوا عن اللغة العربية الأصلية ، فهو يحاول – كما مر في مقدمة الكتاب – أن يقوم ألسنة الكتاب وأيديهم في رسم الكلمات ، وقد جعل هذا الكتاب أربعة أقسام .

الأول : في المعرفة وتوجيه الألفاظ والعبارات إلي استعمالها الصحيح .

الثاني : في إقامة حروف " الهجاء " وما يتصل به من تصويب الكلمة .

الثالث : في تقويم اللسان .

الرابع : في أبنية الأفعال والأسماء ومعانيها .

- **كتاب الشعر والشعراء** : ويتكون هذا الكتاب من قسمين رئيسيين :

١) **القسم الأول** : المقدمة وفيها يتحدث عن الشعر وأغراضه وأضربه وألفاظه وقواعد نقده ، وقد أطال ابن قتيبة في هذه المقدمة

بمـــا لـــم نعهـــده فـــي مقدمات الكتب ، وهي تمثل مذهب ابن قتيبة واتجاهه في النقد

٢) القســم الثاني : تحدث فيه عن تراجم الشعراء ، وقد ترجم لعدد من الشعراء منذ العصر الجاهلي حتي العصر العباسي الأول .

وقـــد اشتملت مقدمة هذا الكتاب علي العديد من الآراء التي كان لها أثرها وخطرها في النقد الأدبي ، ومن تلك الآراء ما يلي :

أولاً : اعتمد ابن قتيبة قياساً للمفاضلة بين الشعراء والحكم عليهم هو جـــودة الـــشعر بصرف النظر عن كون الشاعر قديماً أو حديثاً فهو يـــرفض التقلـــيل مـــن شأن الشاعر المحدث لحداثته وكذلك يرفض تفضيل الشاعر لقدمه .

ويـــصدر ابـــن قتيبة في ذلك عن وجهة نظر مستقلة ، لم تتأثر بما عرفَ عن النقاد من تفضيل القديم لقدمه والزراية بالحديث لحداثته .

يقول الدكتور / مندور :

(الواقـــع أن ابـــن قتيبة كان رجلاً مستقل الرأي غير خاضع لتقاليد العرب الأدبية ولا مؤمن بأحكامهم ولا مطمئن إلي المعتقدات الأدبية التـــي كانـــت منتـــشرة في عصره .... فهو لا يأخذ بفكرة الطـــبقات كما أخذ ابن سلام وهذا واضح منذ الصفحات الأولي من كـــتابه .... ولم يأخذ بتقسيمات ابن سلام لأنه لم يؤمن بمقاييسه كمـــبدأ الكـــم مثلاً ، فهو يقول : (ولا أحسب أحداً من أهل التمييز

والنظـــر نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع أن يقدم أحداً مـــن المتقدمين المكثرين علي أحد إلا بأن يري الجيد في شعره أكثر مـــن الجيد في شعر غيره) [١] وهذا تفكير سليم ونظر صائب ولكن ثـــورة ابـــن قتيـــبة علي المقلدين من أنصار القديم وأخذه برأيه هو مـــستقلا بـــه ، إنمـــا كانت ثورة صادرة عن نظر فلسفي أكثر من صـــدروها عـــن حكـــم اســـتقراه من طبيعة الشعر القديم والحديث ونـــسبة الجـــودة في كل منهما أو قر بهما من مثل أعلي في الشعر فهويقـــول : (ولـــم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ســـبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلي المتقدم مـــنهم بعين الجلالة لتقدمه وإلي المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل بعـــين العدل علي الفريقين ، وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأي قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة علي زمـــن دون زمـــن ، ولا خـــص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مـــشتركاً مقـــسوماً بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً في عـــصره ،وكـــل شـــرف خارجياً في أوله فقد كان جرير والفرزدق والأخطـــل وأمـــثالهم يعـــدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء

---

[١] الشعر والشعراء صـــ ١٩ .

يقـــول : (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتي لقد هممت بروايته) ثم صـــار هؤلاء قدماء عندما بعد العهد منهم ،وكذلك يكون من بعدهم لمـــن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هيثم وأشباههم فكل من أتـــي بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، ولاحداثة سنه ، كما أن الردئ إذا أورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه).[١]

ثانـــياً : الطبع والتكلف في الشعر وتحدث فيه ابن قتيبة عن الشاعر المطـــبوع والشاعر المصنوع ، وعنده أن التكلف وليس الصنعة هو المقابـــل للطبع ، واستعماله لهذه المقابلة دون المشهور بين النقاد أن يقولـــوا " الطـــبع والصنعة " يكشف عن ذكائه وفطنته ودقة اختيار الكلمات .[٢]

يقول ابن قتيبة : (ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ، والمطبوع من الـــشعراء مـــن سمح بالشعر واقتدر علي القوافي ، وأراك في صدر بيـــته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبينت علي شعره رونق الطبع ووشـــي الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر [٣] والمتكلف هو الـــذي قـــوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر

---

[١] النقد المنهجي عند العرب / د محمد مندور صـــ ٢٣ ، ٢٤ .

[٢] نصوص نقدية / محمد السعدي فرهود صـــ ٢٦ .

[٣] التزحر : إخراج الصوت أو النفس مصحوباً بأنين عند وقوع شدة أو عمل .

كزهير والحطيئة ، وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأمثالهما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان الحطيئة يقول : " خير الحولي المنقح المحك " [١]

ويقول بعد ذلك : " التكلف في الشعر أيضا أن نري البيت فيه مقروناً بغير جاره ومضموناً إلي غير لفقه ، ولذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : ولم ذلك ؟ قال لأني أقول البيت وأخاه ولأنك تقول البيت وابن عمه "

ثالثاً : علل ابن قتيبة لبدء الشعراء قصائدهم بالغزل والوقوف علي الأطلال وذكر الديار والدمن والآثار تعليلاً مقبولا إذ بني ذلك علي أساس نفسي يقول : (سمعت أهل الأدب يذكرون أن مقصد القصيد، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكي وشكا وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ...... ثم وصل ذلك بالنسيب فكشا شدة الوجد ، وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي إصغاء الأسماع ، لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام ، فإذا استوثق من الإصغاء إليه

---

[١] الشعر والشعراء صـ ١٢ .

والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسري الليل وحر الهجيرة وإنضاء الراحلة والبعير ، فلما علم أنه أوجب علي صاحبه حق الرجاء .... بدأ في المديح فبعثه علي المكافأة وهزه للسماح وفضله علي الأشياء)

رابعاً : قسم ابن قتيبة الشعر أربعة أضرب

١) ضرب حسن لفظه وجاد معناه .

٢) ضرب حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد وراءه فائدة .

٣) ضرب حسن معناه ، وقصرت ألفاظه عنه .

٤) ضرب تأخر لفظه ومعناه .

مثل : للنوع الأول بقول الشاعر أبي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلي قليل تقنع

وللنوع الثاني ، بقول الشاعر :

ولما قضينا من مني كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

شدت علي حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

ومثل للنوع الثالث بقول لبيد :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وللنوع الرابع بقول الخليل بن أحمد :

إن الخليط تصدع فطر بدائك أوقع

لولا جوار حسان حور المدامع أربع

أم البنين وأسما ء والرباب وبوزع

لقلت للراحل : ارحل إذا بدا لك أودع

وتقسيم الشعر بهذه الطريقة هو تقسيم فلسفي منطقي علمي ولا ينبغي أن يخضع الشعر ونقده للفلسفة أو المنطق أو للتقسيمات الرياضية لأن هذه التقسيمات تخرج بالأدب عن كونه فناً إنسانياً يتغني بالمشاعر عماده الذوق والإحساس إلي حسابات وتقنيات علمية تبعد به عن مجال الانفعال والوجدان .

ولذلك يخرج ابن قتيبة عن هذا التقسيم الرباعي السابق إلي القول بأن الجمال في الشعر الذي يدعو إلي اختياره وتفضيله وحفظه لا يعود إلي ما فيه من جودة للفظ والمعني فقط ، إنما إلي أمور أخري ردها إلي إصابة التشبيه ، أو خفة الروي أو غرابة المعني وطرافته أو نبل الشاعر القائل ومنزلته .

وأخيرا عن ابن سلام وابن قتيبة وغيرهما يقول الدكتور / محمد مندور : (كانوا مؤرخي أدب أكثر منهم نقاداً وهم إن عرضوا لبعض المسائل الأدبية والمقاييس العامة لم يكن في نظرتهم استقصاء

ولا دارســة للنــصوص والنقد كما قلنا ليس تلك التعميمات التي لا طائل تحتها ، وإنما هو تحليل النصوص والتمييز بين الأساليب) [١]

[١] النقد المنهجي عند العرب صـ٤٩ والناشر نهضة مصر .

(٣) قدامة بن جعفر

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، ولد في بغداد سنة ٢٧٥ هـــ ونــشأ في بيت علم وأدب إذ كان والده من كتاب الدولة العباسية وكان والده يدين بالنصرانية في حين أسلم ابنه قدامة علي يد الخليفة العباسي المكتفي بالله ، وقد هيأ له استعداده في صنعة الكتابة واتــصاله بالخلـيفة الالتحاق بديوان الخلافة في عاصمة الدولة في بغداد ، وصار أحد كتاب الديوان ، الذين يشار إليهم بالبنان ، وتوفي قدامـــة سنة ٣٣٧ هـــ وقد ترك قدامة مصنفات عدة تشهد له بالعلم والفــضل والبراعة عددها ابن النديم في كتابه " الفهرست " من تلك المصنفات :

كـــتاب نقـــد الـــشعر - كـــتاب الخـــراج - كـــتاب صنعة الكتابة كـــتاب دريـــاق الفكـــر - كـــتاب السياسة - كتاب صناعة الجدل كـــتاب الـــرد علـــي ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام - كتاب نزهة القلوب - كتاب زاد المسافر .

ولـــه كـــتاب طبع في القاهرة باسم " جواهر الألفاظ " سنة ١٩٣٢ ، واسمه الأصلي " الألفاظ "

وقد فصل قدامة في كتابة " نقد الشعـــر " مـــذهبـــه النـــقـــدي

وطـــريقته فـــي هذا الفن وهي طريقة ظهر فيها أثر تشبعه بالمنطق والفلسفة ، فقد قسم كتابه إلي ثلاثة فصول :

الأول : يعرف فيه الشعر ويرسم خطة الكتاب .

الثاني : يذكر فيه محسنات الشعر في مفرداته ومركباته .

الثالث : يذكر فيه عيوب الشعر في مفرداته ومركباته .

وفـــي القـــسم الأول يتـــناول قدامة تعريف الشعر فيقول : إنه قول موزون مقفي يدل علي معني .

ثـــم يـــضع المؤلف " قدامة " خطة الكتاب فيقول إن عناصر الشعر أربعة :

١- اللفظ ٢- الوزن ٣- القافية ٤- المعني

وهـــذا كله موجود في تعريفه للشعر ، فالقول هو اللفظ ، والموزون هـــو الوزن ، والمقفي هو القافية ، والدال علي معني هو المعني ثم يأخذ في بيان صفات هذه العناصر فيبدأ بالأربعة المفردات

١) فنعت اللفظ بأن يكون سهل المخارج من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة .

٢) ونعت الوزن بأن يكون سهل العروض .

٣) ونعت القوافي بأن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج .

٤) وأخيرا ينتهي إلي المعاني ، وهنا يري جودة المعني في أن يكون موجهاً للغرض المقصود غير عاد عن الأمر المطلوب .

ولما كانت المعاني لا عداد لها فإن قدامة يردها كلها إلي المديح والهجاء ، والنسيب والمراثي ، والوصف والتشبيه .

– ثم يأخذ عن الحديث عن هذه الأغراض المختلفة فيتحدث عن المدح مجيزاً فيه المبالغة مؤكدا أنها من جمال الشعر ، ويرجع المدح إلي الإشادة بصفات أربع هي :

العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة ، ولكل من هذه أقسام فمن أقسام العقل : ثقافة المعرفة ، والحياء والبيان والسياسة و الكفاية والصدع بالحجة والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري مجراه ومن أقسام العفة ، القناعة وقلة الشره ، وطهارة الإزار وغير ذلك مما يجري مجراه .

ومن أقسام الشجاعة : الحماية والدفاع والأخذ بالثأر .... الخ

ومن أقسام العدل والسماحة ومن أنواعها التبرع بالنائل وإجابة السائل وقري الأضياف وما جانس ذلك .

ثم ينتقل من المدح إلي الهجاء ، ثم إلي الرثاء ، ثم يتحدث عن التشبيه ثم الوصف في تقسيمات كثيرة مملة سمجة فلسفية أكثر منها نقدية وبعد أن يفرغ من الكلام علي المفردات يأخذ في الحديث عن المركبات وهي :

١) ائتلاف اللفظ مع المعني

٢) ائتلاف اللفظ مع الوزن

٣) ائتلاف المعني مع الوزن

٤) ائتلاف المعني مع القافية

وقبل أن ينتقل إلي الحديث عن المركبات الأربع السابقة يورد ما يعم جميع المعاني الشعرية من محسنات وهو يحصيها في سبعة أوجه

١) التقسيم ٢) صحة المقابلة ٣) صحة التفسير ٤) التتميم

٥) المبالغة ٦) التكافؤ ٧) الالتفات .

ثـــم إذا فــرغ من ذكر محاسن المفردات والمركبات يأخذ في ذكر معايــب كــل فيذكــر عــيوب اللفــظ والــوزن والقافية والمعاني بأنــواعها ، ثم يفصل بين المفردات والمركبات بذكر العيوب العامة للمعاني ... الخ .

ويبدو أن قدامة لم ينل إعجاب كثير من النقاد نظراً لطريقته المنطقية الفلــسفية فــي تقــسيمات الأشياء ولتأثره الشديد بالفلاسفة من أمثال أرســطو ولنظرته الضيقة في معالجة الأشياء كل بمفرده لا معالجة الأشياء كوحدة .

وعــنه يقول د/ مندور : (أما قدامة فعقليته شكلية صرفة ، وهو لا يبدأ بالنظر في الشعر بل يكون أولاً هيكلاً لدارسته ويحدد تقاسيمه أو. إن شــئت فقل إنه يصنع قطعة أثاث هندسية التركيب ، ثم يأخذ في مــلء أدراجهــا [1] ثم يقول عنه بعد التقسيمات الكثيرة والتفريعات

---

[1] النقد المهجي عند العرب صــ٦٨ .

الأكثر : (وفي هذا الكلام الطويل الممل ما يدل علي طريقة قدامة فـــي نقد الشعر وبعده عما ادعاه فهذه فلسفة أرسطاليسية ومزيج من المـــنطق والأخـــلاق المعروفة عند المعلم الأول .... وإذن فمحاولة قدامـــة ظلـــت شـــكلية عميقة ، وهي لم تدخل يوماً ما في تيار النقد العربـــي ولـــئن كان النقاد لم يجهلوه بدليل ورود اسمه غير مرة في كتـــبهم ، فإنهم لم يكادوا يتأثرون به ، إنما تأثروا بكتاب البديع لابن المعتز) [١]

---

[١] السابق/صـــــــ ٧٠ وما بعدها

٤) الآمـــدي

هــو أبــو القاسم الحسن بن بشر بن يحيي الآمدي ، ولد في البصرة ونــشأ بها ، وقصد بغداد وهو في سن الشباب ، اختلف إلي مجالس العلمـــاء يتلقي عنهم فنون العلم في اللغة والنحو والأدب وغير ذلك حتى حصل علوم زمانه وتتلمذ علي الأخفش والزجاج وابن السراج وابــن دريــد ونفطــويه ، وحين تمت له ملكة البيان التحق بكتابة الــدواوين فكتب في بغداد لهارون بن محمد الضبي ثم عاد بعد حين إلــي البصرة حيث كتب لأحمد بن الحسن بن المثني ، ولأخيه طلحة ابن الحسن ثم عمل كاتبا للقاضي أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ولأخــيه القاضـــي أبـــي الحسن بن عبد الواحد واشتهر بذلك حتي لقب " كاتب بني عبد الواحد "

بــرزت مكانـــة الآمـــدي في ميدان الأدب وطارت شهرته فيه حتى انتهت إليه رواية الشعر والأخبار في آخر عمره وقد ألف كتباً كثيرة فـــي اللغـــة والأدب والـــنقد وكان فوق ذلك شاعرا مجيداً رويت له مقطوعات شعرية كثيرة وكان حسن الطبع جيد الصنعة وكان عالماً فاضـــلاً ولكـــنه كـــان تمتاماً وقد لزم بيته في آخر أيامه حتي توفي بالبصرة ٣٧٠ هـــ أو ٣٧١ هــ

وللآمدي كتب كثيرة في الأدب واللغة والنقد منها :

- المختلف والمؤلف في أسماء الشعراء
- كتاب فعلت وأفعلت ، ولم يصنف مثل هذا الكتاب
- كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ
- كتاب تفضيل شعر امرئ القيس علي شعر الجاهليين
- كتاب نثر المنظوم
- كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في " نقد الشعر "
- كتاب معاني شعر البحتري
- كتاب الرد علي ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام
- كتاب الأضداد
- ديوان شعر يقع في حوالي مائة ورقة
- الموازنة بين الطائيين " أبي تمام والبحتري "

وهذه الكتب علي كثرتها لم يطبع منها إلا كتابان هما المختلف والمؤتلف من أسماء الشعراء وكتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري وهذا الأخير يشهد للآمدي بسعة واستقصاء اطلاعه علي دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام وكذلك دواوين الشعراء المحدثين كما يشهد له بسعة اطلاعه علي أراء من سبقوه من أعلام اللغة والأدب كابن سلام الجمحي وأبي عبيدة وابن المعتز ، وقدامه

وبــشر بــن تمــيم وابــن أبي طاهر ومحمد بن العلاء السجستاني وغيرهم .

وقــسم الآمــدي كتابه " الموازنة " إلي خمسة أقسام كل قسم يسمي جزءاً يقول د / مندور في الفرق بين الآمدي ومن سبقوه كابن سلام وغيره من حيث المذهب : (وأما الآمدي فوجهته وجهة أخري فهو يبدأ " الموازنة " بين البحتري وأبي تمام بأن يورد حجج أنصار كل شــاعر وأســباب تفضيلهم له ، ثم يأخذ في دارسة سرقات أبي تمام وأخطائه وعيوبه البلاغية ويفعل مثل ذلك مع البحتري مورداً سرقاته خصوصا سرقاته من أبي تمام ثم أخطاءه وعيوبه ، أخيراً ينتهي إلي المــوازنة التفــصيلية بين ما قاله كل منهما في كل معني من معاني الشعر) .[1]

أذن من خلال نص د/ مندور تكون أجزاء الكتاب كالأتي :

الجــزء الأول : يذكــر فــيه الآمــدي أراء النقاد في شعر أبي تمام والبحتري ويستقصي رأي المتعصبين لهذا أو ذاك ثم يحصي سرقات أبي تمام الشعرية

والجزء الثاني : يذكر فيه معانيهما في كل معني شعري من المعاني والألفاظ والأساليب .

---

[1] النقد المنهجي عند العرب صـ ٩٩ .

والجــزء الــثالث : يتــناول فيه قبح استعارات أبي تمام ومستهجن جناسه ومستكره طباقه [1] وما ورد في شعره من سوء النظم وتعقيد التــركيب ، ووحــشي الألفــاظ مما خلا من بهاء الرونق ، وعذوبة المــسمع ومما حمل التعسف علي ديباجته ، ثم يذكر ما وقع فيه أبو تمام من كثرة الزحافات التي أثرت علي موسيقي أوزانه الشعرية .

والجــزء الرابع : يحلل فيه بإيجاز ما أخطأ فيه البحتري مكتفياً من ذلك ببيان بعض سرقاته مع نفي الكثير منها عنه .

والجــزء الخامس : يوازن فيه بين الشاعرين في المعاني التي اتفق موضوعها في شعرهما ويبين أيهما أشعر في ذلك المعني بعينه ويبدأ تلــك المــوازنة بكلمة يبين فيها صعوبة نقد الشعر ، ويذهب إلي أن أهــل الحذاقــة بكل علم وصناعة يفضلون من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتــزاج وأن لهــذا الميدان رجاله من عنوا بكثرة النظر في الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له ، وهو في هذا الرأي متأثر بابن ســلام الجمحــي ومحتذ حذوه يقول : (فمن سبيل من عرف بكثرة النظــر فــي الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يقضي له بــالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه وأن يسلم له الحكم فيه ويقبل منه مــا يقوله ويعمل علي تمثله ولا ينازع في شيء من ذلك إذ كان من

---

[1] الموازنة صــ ١١٢ مطبعة محمد علي صبيح .

الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظرا في الخبرة وطول الدربة والملابسة) [١]

ويظهر تأثر الآمدي بابن سلام واضحاً حيث يذهب إلي أن نقد الشعر والتصدي للحكم له علي ما سواه لا يكون إلا لمن هو أعلم بألفاظه واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه في مواضعه وكثرة مائه ورونقه ، إذ كان الشعر لا يحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه .

ويبدو أن الآمدي لم يكن ينقصه شيئ من أدوات الناقد المحترف فهو رجل منصف دارس محقق ، لا يقبل شيئاً بغير بينة ولا يقدم حكما بغير دليل ، وأما وسائله فهي المعرفة ثم الذوق .

(وهو فيما يبدو لم يكن يجهل شيئاً لا من علوم اللغة العربية وآدابها التقليدية فحسب بل ولا من العلوم الفلسفية المستحدثة ، وإن تكن العلوم لم تبهره ولا ضللت أحكامه عن الأدب والشعر) [٢]

ومهما يكن فإن الآمدي في كتابه " الموازنة " كان ناقداً حاذقاً محيطا بكل أسرار اللغة ، ودقائق البيان ، فهو حين ينقد البيت من الشعر عند أبي تمام أو البحتري تري عنده دقة الملاحظة ، وسعة الاطلاع

---

[١] الموازنة صـ ٣٤٥ .

[٢] النقد المنهجي صـ ١١٩ .

ورســـوخ العلــم ما يسدد خطاه ، وأبحاثه التي حفل بها كتابه ، ولا يمنعـــنا ذلــك من أن نقول : إن الآمدي قد استفاد بأبحاث وآراء من سبق من النقاد العلماء كابن سلام وابن المعتز وقدامة وغيرهم .

(٥) القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني ولد في جرجان سنة ٢٩٠ هـ ونشأ بها وكانت موطناً من مواطن الثقافة الإسلامية في بلاد الفرس واشتهر بلقب القاضي .

كانت الدولة الإسلامية في ذلك العهد بأمصارها وحواضرها تزخر بالعلم والعلماء حتى وصلت إلي قمة نضجها العلمي ، فسلك القاضي الجرجاني السبيل التي كان يسلكها الشباب في هذه البيئات العلمية الحافلة وأخذ في دراسة علوم الدين واللغة والأدب ، وأخذ يجوب الأرض ويتنقل في البلدان فزار الشام والعراق والحجاز ، ولقي مشايخ وعلماء عصره واقتبس الكثير من العلوم والمعارف والآداب حتى صار علماً وإماماً .

وللقاضي الجرجاني عدة تصانيف ومؤلفات من أهمها

١) الوساطة بين المتنبي وخصومه
٢) تفسير القرآن المجيد
٣) تهذيب التاريخ
٤) كتاب في الوكالة وضع فيه أربعة آلاف مسألة

ولم يوجد من هذه الكتب إلا " الوساطة " والباقي لسوء الحظ مفقود وكل ما نعلمه عنها هو ما أورده صاحب كتاب " اليتيمة " عن تهذيب التاريخ أنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الروايات وحسن

التـــصرف ، فـــي الانتقادات ويورد الثعالبي فصلين من هذا الكتاب كأنموذج لتأليف الجرجاني في التاريخ .

وقـــد اشـــتهر القاضي بالفقه وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء وكـــان لنـــضج ثقافته الدينية أثر كبير في توطيد الصلات بينه وبين الـــصاحب بن عباد ، فاشتد اختصاصه به وحل منه محلاً بعيدا في رفعـــته ، وكـــان القاضـــي شاعرا وكاتبا مترسلاً وناقد خبيرا تبادل المـــدح مـــع الـــصاحب بـــن عباد وعرف له الصاحب فضله فولاه قـــضاء " الري " وكان بلاط الصاحب محط رحال العلماء والشعراء والأدباء وأبناء الفضل وفرسان الشعر ونجوم الأرض إلا أن القاضي الجرجانـــي كـــان آثـــرهم عـــنده وأقربهم إليه وذلك لعلمه وفضله ومكانـــته وعلـــو منـــزلته وشـــرف نفـــسه ومـــن ثم فقد رفعه إلي منـــصب " قاضي القضاة " وظل في هذا المنصب إلي أن توفي في الـــري ســـنة ٣٩٢ هـــ وحمـــل تابـــوته إلـــي جرجان فدفن في حفل مهيب .

إلا أن ابـــن خلكان صاحب الوفيات يقول : كان ذلك سنة ٣٦٦ هـــ وعمره ٧٦ عاماً

ويعد كتاب " الوساطة " من الكتب القيمة في ميدان الأدب والنقد فقد تـــناول الجرجانـــي كثيـــرا من المشكلات الأدبية والنقدية وعرضها عرضـــاً جيدا ممتعا أملاه الذوق والطبع والوجدان ، ونلمح في كتابة

الجرجاني فهمه للشعر وتذوقه له ، وبراعته في مجال النقد وقد كان للوســاطة أثرها الكبير في هذا المجال ويعدها الباحثون من القدامي وكذلك المعاصرين من أروع مؤلفات القاضي الجرجاني .

أما منهجه النقدي : فقد سار الجرجاني في وساطته علي منهج سديد في نقده فهو يعرض ما أحسن أو أساء فيه الشاعر ثم يفاضل ويوازن بينه وبين غيره من الشعراء في المعني نفسه وهو يهتدي في أحكامه التـــي يصدرها ونقداته التي يوجهها إلي الذوق المطبوع الذي هذبته الفطرة الأدبية السليمة وثقفته الدربة والممارسة والمران فيقول :

(ومـــلاك الأمـــر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ،وتجنب الحمل عليه والعنف به ، لست أعني بهذا كـــل طبع بل المهذب الذي قد صقله الأدب وشحذته الرواية ، وجلته الفطـــنة وألهـــم الفـــصل بـــين الرديء والجيد وتصور أمثلة الحسن والقبح) [١]

ونـــراه يعيب علي النقاد وأهل الأدب موقفهم من أبي الطيب المتنبي فهـــم ما بين مطنب في تقريظه ، يشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويمـــيل علي من عابه بالزراية والتقصير ، وعائب يروم إزالته عن رتبته ولا يسلم له بفضله ، ويري فيه ذلك الموقف المجافي للصواب

---

[١] والوساطة صـــ ٢٥ .

البعيد عن النهج السليم في الحكم علي شاعرية هذا الشاعر وهو في الوقت نفسه ظلم للأدب وظلم في حق المتنبي يقول :

(وما زلت أري أهل الأدب في أبي الطيب بن الحسين المتنبي فئتين : من مطنب في تقريظه ، منقطع إليه بجملته ... يتلقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم) ويميل علي من عابه بالزراية والتقصير ويتناول من ينقضه بالاستحقار والتجهيل .... (وعائب يروم إزالته عن رتبته ، فلم يسلم له فضله ، يحاول حطه في منزلة بوأه إياها أدبه فهو يجتهد في إخفاء فضائله وإظهار معايبه وتتبع سقطاته وإذاعة غفلاته .

وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه ، وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسده الاعتذار فكذلك الاعتذار جانب هو أولي به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر وإسراف المفرط وقد جعل الله لكل شئ قدرا وأقام بين كل حديث فضلا وإذا كانت الخلقة مبنية علي السهو وممزوجة بالنسيان فاستسقاط من عز حاله حيف ، والتحامل علي من وجه إليه ظلم) [1] .

ثم يتحدث القاضي الجرجاني عن ميزان النقد عند العرب وأنه يرتكز علي عناصر الشعر : من شرف المعني وصحته وجزالة اللفظ

---

[1] الوساطة صـ ٣ ، ٤

واستقامته وإصابة الغرض دون الاهتمام بالصنعة والجري وراء المحسنات البديعية فيقول : (وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعني وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب وبده فأغزر ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض)

ومن ثم فهو يدعو الشعراء المحدثين إلي اختيار الألفاظ الرقيقة العذبة التي تسمو علي الساقط السوقي ، وتنزل عن البدوي الوحشي منها ، وإلي تنزيل الجزالة والرقة منازلهما ، بحسب المعني والغرض والموضوع فلا يكن غزله كافتخاره ولا مديحه كوعيده ، لا هزله بمنزلة جده و لا تعريضه مثل تصريحه بل يرتب كلا مرتبته ويوفيه حقه وسواء في ذلك الشعراء والكتاب فيقول :

(وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور علي الشعر دون الكتابة ولا بمختص بالشعر دون النثر بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلاف كتابك في التشوق ، والتهنئة واقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت) [١]

---

[١] الوساطة صـ ٢٣ وما بعدها

ثـم يعـود القاضـي إلي الحديث عن خصوم المتنبي وأنهم افترقوا فـرقتين فرقة تعاديه وتنقصه لأنها تعم بالنقص كل محدث وأخري تخاصمه وحده من بين الشعراء المحدثين فتضع من منزلته من حيث تـرفع من شأن أبي نواس ومسلم وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وإضـرابهم ونـراه ينعـي علـي من يفضلون الشعر القديم لقدمه ويعـودون بالـزراية علي الحديث لحداثته وهو في هذا يذكرنا بتلك النظرات التي رأيناها من قبل عند ابن قتيبة .

يقـول القاضـي : (وما أكثر من تري وتسمع من حفاظ اللغة ومن جلـسة الـرواة مـن يلهج بعيب المتأخرين فإن أحدهم ينشد البيت فيستحـسنه ويستجيده ويعجب منه ويختاره فإذا نسب إلي بعض أهل عـصره وشـعراء زمانـه كـذب نفسه ونقض قوله ، ورأي تلك الغـضاضة أهـون محملا ، وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لمحدث ، والإقرار بالإحسان لمولد .

حكي عن اسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : أنشدت الأصمعي :

هل إلي نظرة إليك سبيل   يرو منها الصدي ويشفي العليل

إن ما قل منك يكثر عندي   وكثيـر ممـن تحـب القلـيـل

فقال : والله هذا الديباح الخسرواني ! لمن تنشدي ؟ فقلت إنهما لليلتهما ، فقال لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر) [١] .

ويوازن القاضي الجرجاني بين المتنبي وكل من : ابن الرومي وأبي نواس وأبي تمام فنراه يتجاوز الإنصاف في النقد ويعنف في الحكم ويثور في الخصومة فيري في ابن الرومي الشاعر الذي نقرأ القصيدة من شعره وهي تناهز المائة بيت أو تزيد أو تنقص فلا تعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق ويعجب أو البيتين لا يحصل منها السامع إلا علي تعدد القوافي .

ويتناول شعر أبي تمام فيوضح أنه أحيانا يترقي في الدرج العالية من الشعر ويتصرف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلي الحضيض ويلصق بالتراب ويقول : إنه ما تكاد قصيدة من شعره تسلم من أبيات ضعيفة وأخري غثة لا سيما إذا طلب البديع ، وتتبع العويص)

فإذا ما انتقل إلي الحديث عن أبي نواس ، رأيناه يكبر من شأن صاحبه المتنبي ، ويغض من منزلة أبي نواس ومكانته يقول : (لو تأمل متأمل شعر أبي نواس ثم وازن بين انحطاطه وارتفاعه لعظم .

---

[١] هذه رواية الوساطة صـ ٤٦ ، أما رواية الأغاني فقال : هذا الديباج الخسراوني ، هذا الوشي الإسكندرني ، لمن هذا ؟ فقلت له : إنه ابن ليلته ، فتبينت الحسرة في وجهه وقال : أفسدته أفسدته ، أما إن التوليد فيه لبين .

من قدر صاحبنا المتنبي ما صغر ولأكبر من شأنه ما حقر ، ولعلمت أنك لا تري لقديم ولا محدث شعرا أعم اختلالا وأقبح تفاوتا ، وأبين اضـطرابا وأكثـر سفسفة وأشد سقوطا من شعره هذا ، وهو الـشاعر المقـدم الـذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي وفسر ديوانه ابن السكيت .

وإذا كانـت عـيوبه : مـن غـثاثة ورداءة ولحن وخطأ في الوزن واختلال في موسيقي الشعر ، ومن ضعف في العقيدة ، لم تغض من شـاعريته ولم تنقص من مكانته فكيف يستساغ هذا المسلك مع أبي الطيب وحده يقول : (والعجب ممن ينقص أبا الطيب ، ويغض من شعره لأبيات وجدها ، تدل علي ضعف في العقيدة ، وفساد المذهب فـي الديانـة) ويختم الجرجاني قوله في هذا المقام ببيان رأيه في العلاقـة بـين الشعر والدين ويقرر أن الدين بمعزل عن الشعر وأن سـوء العقـيد لا ينبغـي أن يكون سببا لتأخر الشاعر أو الغض من مكانته .

الباب الرابع

النقد عند الإغريق والرومان

ويشمل أربعة فصول

الفصـــل الأول : الفلسفــة والنــقـــد

الفصــل الثانــي : الخطابة ونقدها عند اليونان

الفصل الثالث : المذاهب الأدبية والنقدية في أوربا إلي نهاية القرن التاسع عشر

الفصل الأول

الفلسفة والنقد :

رأينا النقد ينمو ويتطور في العصر العباسي تحت تأثير الأذواق الجديدة عند الأدباء ، وما أصاب اللغويين من رقي عقلي جعلهم ينظمون الشعراء القدماء في طبقات وفصائل ، ثم ما قام به المتكلمون من تعليم الشباب الخطابة والمناظرة ومحاولتهم وضع قواعدهما ومعرفة متي يكون الكلام جيدا ومتي يكون رديئاً وبعبارة أخري متي يكون بليغاً ومتي يكون غير بليغ وقد ذهبوا يطلبون ما عند الأجانب في ذلك ، وأخذوه ولكن في احتياط ، بالضبط كما كانوا يحتاطون معهم في المناقشات الدينية ، فهم يأخذون منهم بعض ما يقولونه في البلاغة والبيان ولكن في حذر ، وبعد مراجعة ما قاله العرب أنفسهم وبعد ما يضيفونه هم بنظراتهم الفاحصة .

وما زال هذا شأن النقد العربي حتى ترجم كتاب الخطابة لأرسطاليس في النصف الثاني من القرن الثالث ، وترجم بعده كتاب الشعر ، ترجمه متي بن يونس المتوفي سنة ٣٢٨ للهجرة وبذلك ظهرت مادة جديدة في النقد لم تكن معروفة ، مادة فلسفية يونانية لا عهد للعرب بها ، وهي مادة لم تكن تعرفها معرفة تامة عامة المثقفين ، وإنما كان يعرفها المتفلسفة ، فكان من الضروري أن يظهر من بينهم من يحاول تطبيقها علي الشعر والنثر العربيين

ولم نلبث أن وجدنا قدامة بن جعفر المتوفي سنة ٤٣٧ للهجرة ، يقوم بهـذه المحاولـة فـي دائرة الشعر فيؤلف كتابا يسميه ، نقد الشعر مستلهماً فيه كتاب أرسطاليس الذي خصه بالشعر وحده .

وكان قدامة نصرانيا وأسلم علي يد الخليفة المكتفي بالله وكان بارعاً في معرفة الفلسفة اليونانية ، ويقول مؤرخو العرب إنه " من الفلاسفة الفـضلاء " وممن يشار إليه في علم النطق " وله كتاب في السياسة وآخـر فـي صناعة الجدل . فهذا الفيلسوف أو المتفلسف هو الذي حـاول أن يخـضع الشعر العربي للعقل الفلسفي اليوناني ويشتق له قـواعد وأصـولا مضبوطة . يقول في فاتحه كتابه : " العلم بالشعر ينقـسم أقساماً ، فقسم ينسب إلي علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلـي علـم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب إلي علم جيده ورديئة وقد عنـي الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلي الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغـريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يـريد بها الشاعر ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئة كتابا ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولي بالشعر من سـائر الأقسام المعدودة ..... فإن الناس يخبطون فيه منذ تفقهوا في العلـوم فقليلا ما يصيبون ، ولما وجدت الأمر علي ذلك وتبينت أن الكـلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر ، وأن

الـــناس قـــد قصروا في وضع كتاب فيه رأيت أن أتكلم في ذلك بما يـــبلغه الوســـع " ونمضي مع قدامة بعد مقدمته فنجده يبدأ بتعريف الشعر علي هذا النحو : " الشعر قول موزون مقفي يدل علي معني ، فقولنا " قول " دل علي أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولـــنا " مـــوزون " يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول مـــوزون وغيـــر موزون وقولنا " مقفى " فصل بين ما له من الكلام المـــوزون قـــواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع وقولنا يدل علي " معنـــي " يفصل بين ما جري من القول علي قافية ووزن مع دلالة علي معني مما جري علي ذلك من غير دلالة علي " معني " .

ونحـــن نعرف أن أرسطاليس حين بدأ كتابه الشعر قارن بينه وبين الفـــنون الأخري من رقص وموسيقي ورسم ودعاها كلها " محاكاة " وتخـــتلف فـــي طريقة محاكاتها ، فمنها ما يحاكي بالإيقاع ومنها ما يحاكي بالصوت ومنها ما يحاكي بالصبغ ومنها ما يحاكي باللغة وهو الشعر ويقصد أرسطاليس بالمحاكاة تقليد الطبيعة وأعمال الناس ، وإنمـــا قـــرن الشعر إلي غيره من الفنون ليدل علي أن المحاكاة فيه ليست طبقاً للأصل ، وإنما مع بعض التغيير أي كما تتراءى أعمال الـــناس والطبـــيعة فـــي مخـــيلة الشاعر وكأنما كلمة المحاكاة عنده تعنـــي " التصوير " وقد أنكر ما يقول به بعض الناس من أن الشعر يتميـــز بالـــوزن واســـتدل علـــي ذلك بشعر أحد الفلاسفة المسمي

إمباذوقلــيس فإنـــه يقــول كلاماً موزوناً وهو ليس شعراً وإنما هو فلسفة .

وهذا الجهد الذي بذله أرسطاليس في نفي تعريف الشعر بأنه الكلام المـــوزون وأنه الكلام المحاكي أو المصور يظهرنا علي أن قدامة لم يفهـــم مـــنه شـــيئاً ولذلك تركه جملة ووضع هذا التعريف من عنده وأخـــضعه لطريقة المناطقة ولم يتركنا لنستنتج ذلك ، فقد دلنا عليه حين تحدث عن الجنس والفصل وما إلي ذلك مما يعرض له المناطقة في مناقشة التعريفات ، وكأنه يريد أن يقول إن تعريفه جامع مانع .

ويـــتكلم قدامة بعد ذلك عن الشعر وأن فيه الجيد والردئ والوسط ، ويلاحـــظ أن جميع المعاني معرضة للشاعر وكل ما يطلب منه إنما هـــو بلـــوغ الجـــودة ، كمـــا يلاحظ أن الشاعر قد يناقض نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك ولا ينكـــر عليه هذا الصنيع ولا يعاب من فعله إذا أحسن المدح والذم ، وهـــو يتأثـــر فـــي هذه الملاحظة الأخيرة بما كتبه أرسطاليس في الفـــصل الـــرابع مـــن كـــتابه " الـــشعر " الذي خصصه للرد علي اعتراضـــات الـــنقاد ، فقـــد ذكر بينها التناقض ، ورده قائلا : " أما المتناقـــضات التي نجدها في لغة الشاعر فلا بد من أن نختبرها قبل أن نحكم بأنه ناقض ما قاله بنفسه أو ناقض ما يراه ذو العقل السليم ســـليما " وكـــذلك رد أرسطاليس في هذا الفصل الاعتراض علي

الشعر بأنه غير خلقي أو غير صادق ، وتبعه قدامة يقول " ليس فحاشة المعني في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه " ويقول أيضاً " الشاعر ليس يوصف أن يكون صادقاً " ويخلص قدامة من هذه الملاحظات إلي أن الأشياء التي يجب الكلام فيها عن جودة الشعر فيه " ويقول أيضا " الشاعر ليس بوصف بأن يكون صادقاً "

ويخلص قدامة من هذه الملاحظات إلي أن الأشياء التي يجب الكلام فيها عن جودة الشعر ورداءته أربعة هي التي وضحها تعريفه السابق ، وهي اللفظ والمعني والوزن والقافية . ولما كان يلاحظ فيها التحليل والتركيب أو الانفراد والائتلاف فإن لها صفات جودة ورداءة إذا انفردت وأخري إذا اجتمعت وائتلفت .

وواضح أنه يعود بالجودة الرداءة إلي الشعر نفسه ، فهو لا يعتد بالذوق ، وربما جاءه ذلك من أنه يريد أن يضع قواعد ثابتة ، والذوق شخصي ومن شأنه أن يلغي القواعد فنفاه من كتابه . وأخذ يعدد خصائص اللفظ منفرداً ، عارضاً لصفات الجودة والرداءة فيه ، وخرج من ذلك إلي نعت الوزن فنعت القوافي ، ثم انتقل يتحدث عن صفات المعني ، وبدأ بصفة المبالغة ، فقال : إن الناس علي مذهبين فيها ، قوم ينكرونها ويرون الاقتصار علي الحد الأوسط ، وقوم يطلبونها ويرون الغلو والإغراق . ويبسط الحديث فيها ثم ينتهي إلي أن الغلو أجود المذهبين ، يقول : " وهو ما ذهب إليه أهل الفهم

بالشعر والشعراء قديماً ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه وكذا نري فلاسفة اليونانيين في الشعر علي مذهب لغتهم " .

فهو يختار المبالغة مقتدياً بفلاسفة اليونان ، وهو إنما يريد أرسططاليس ، الذي تحدث عنها في الفصل الرابع من كتابه " الشعر" فقد افتتح هذا الفصل بأن الشعراء يحكون الأشياء ،إما هي كما في واقعها ، وإما كما يعتقدون ويتصورون ، وإما كما ينبغي أن تكون ، ودافع عن المغالاة عندهم حتي لو وصلت إلي الاستحالة .

ويتحدث قدامة عن أقسام المعاني ، ويقتصر منها علي المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه وقد حاول أن يردها جميعها إلي المديح والهجاء ، وهو في ذلك يتأثر بأرسططاليس الذي رد الشعر اليوناني في أصله إلي فنين هما : شعر البطولة أو الشعر القصصي وشعر الهجاء ، فالأول يحكي أعمال الشخصيات السامية من أبطال وآلهة ، والثاني يحكي أعمال الشخصيات الرذلة .

وإذا كان أرسططاليس قد صنع ذلك بالشعر علي مذهب لغته فواجب أن يصنع قدامة ذلك بالشعر علي مذهب العرب فهو يقيم النوعين الأساسين : المديح والهجاء ويرد إليهما الأنواع الأخري ، فالرثاء مديح وليس بينهما فرق إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل علي أنه لميت

مـــثل " كان وتولي وقضي نحبه " ومثل الرثاء النسيب ، فهو مديح وإن كان يتطلب نوعا من الاستمالة واستعطاف المحبوب أما العتاب فنوع من الهجاء وإن كان يتطلب نوعاً من الرفق في الخطاب .

وأراد قدامـــة أن يضع قواعد المديح والهجاء ونظر في كتاب الشعر لأرســـطاليس فلم يجد فيه هاديا له . لأن صاحبه لم يتكلم في كتابه عـــن الشعر الغنائي وإنما تكلم عن المأساة ولم يفهم قدامة حديثه فيها لأنه لم يكن يعرف شيئا عنها . وفكر ماذا يصنع وأخيرا هداه تفكيره إلي أن يستمد هذه القواعد مما كتبه أرسططاليس في الفصل السادس من الكتاب الأول في مبحثه " الخطابة " إذ عرض للفضائل وصورها وأهمهـــا فأخذ ذلك منه قدامة وبني عليه قواعده في معاني المديح ، فقال : (لما كانت فضائل الناس من حيث إنهم ناس لا من طرق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان علي ما عليه أهل الألباب " يريد الفلاســـفة " مـــن الاتفـــاق في ذلك إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفـــة كـــان القاصـــد لمـــدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبا والمـــادح بغيـــرها مخطئا) وأخذ بعد ذلك يبذل جهدا طريفا في رد صـــفات المديح المختلفة إلي هذه الخصال الأربعة منفردة أو مركبة بعـــضها مع بعض ، ولاحظ أن كل خصلة أو فضيلة منها وسط بين مذمومـــين أو رذيلتين ، وهو في ذلك ينقل عن أرسططاليس نظريته المشهورة في الأخلاق والفضائل المعروفة بنظرية الأوساط وأن كل

فضيلة تقع بين حدين من التفريط والإفراط . وانتقل يتحدث عن الهجاء وقال إنه يكون ضد الفضائل التي صورها وهو هنا يتأثر بأرسطاليس كما يتأثر بكل ما قرأه من الفلسفة اليونانية في مباحث الأخلاق فقد علق علي بيتين في الهجاء بأنهما بلغا غاية الجودة لأن الشاعر هجا صاحبه بضد أجل الفضائل وهو العقل لأن هذا الفعل من أفعال أهل الجهل والبهيمية والقحة التي هي من عمي القوة المنيرة كما قال جالينوس في كتابه : " في أخلاق النفس " فهو يتأثر بأرسطاليس وغيره مثل جالينوس ، وقد تحدث عن الرثاء ثم استمر يعرض معاني الشعر ومحسناتها من مثل صحة التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير والتتميم والالتفات ، ويخلص من ذلك إلي الحديث في المركبات فيتحدث في ائتلاف اللفظ مع المعني كما يتحدث في ائتلاف المعني مع الوزن . ثم مع القافية فإذا أنهي الكلام في ذلك انتقل إلي رداءة الشعر وعيوبه من حيث مفردات : اللفظ والوزن والقافية والمعني ثم من حيث مركباته وما ينتج من ائتلاف هذه العناصر بعضها مع بعض واستعان في أثناء ذلك بكثير مما كتبه أرسطاليس وخاصة في الكتاب الثالث من مبحثه الخطابة الخاص بالعبارة فما يقوله في التشبيه والمقابلة وصحة التقسيم وغرابة الألفاظ كل ذلك وغيره من صور العبارة متأثرة فيه بما كتبه الفيلسوف اليوناني .

وبذلك يتم الكتاب في هذه الصورة الفلسفية الدقيقة ، فقد أخضع قدامة الشعر العربي للفلسفة اليونانية التي ثقفها ، تارة ينقل منها مباشرة من كتاب الشعر أو من كتاب الخطابة لأرسطاليس أو من كتبه الأخري في الأخلاق أو من كتب جالينوس وتارة أخري لا ينقل ولكنه يسرف في تطبيق المنطق وحدوده ورسومه ولكن هل نجح قدامة في تشريعه للشعر العربي ووضع قواعد نقده ؟ أما إن لاحظنا المسألة من الجهة الشكلية فهو قد نجح إلي أبعد حدود النجاح . إذ استطاع أن يضع للنقد العربي لأول مرة في تاريخه أصولا ومعايير يقيس بها الجودة والرداءة في الشعر وهو يعالج ذلك في كتابه معالجة دقيقة فليس عنده استطراد ولا انتقال من موضوع إلي موضوع ، وإنما عنده الترتيب والتبويب الدقيق والإحصاء المنظم والتعريف والتحديد علي الطريقة اليونانية . غير أن ذلك كله يحيل النقد عنده شيئا جافا فهو حدود ورسوم لا أكثر ولا أقل وهو يصوغها في غير قليل من العسر والالتواء ويبدو في كثير من الأحيان أنها تلائم طبيعة الشعر العربي فقد كان عقله عقل فيلسوف ولكن ذوقه لم يكن ذوق أديب فلم يحسن عرض الأمثلة ، بل لم يحسن عرض قواعده نفسها ولو أنه لم يحاول وضع قواعد شاملة لكل الشعر العربي وقصر نفسه علي شاعر بعينه وعرض للجودة والرداءة في شعره لكان عمله أجدي ولفهم العرب كتابه وتفاعلوا

معــه . وقــد أضــيف إلي قدامة كتاب طبع باسم " نقد النثر " وهو لمعاصر له يسمي إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب ، وتظهر فيه نفس هذه الغاية التي رأيناها في " نقد الشعر " من إخضاع البيان العربي للفلسفة .

ويصرح المؤلف في فاتحته بأنه ألفه معارضة لكتاب البيان والتبيين للجــاحظ ، يقــول مخاطبا أحد أصدقائه : " أما بعد فإنك ذكرت لي وقــوفك علــي كتاب عمرو بن بحر الجاحظ الذي سماه كتاب البيان والتبيين وأنك وجدته إنما ذكر فيه أخبارا منتخلة وخطبا منتخبة ولم يــأت فــيه بوصف البيان ولا أتي علي أقسامه في هذا اللسان وكان عندما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه ، وسألتني أن أذكــر لــك جملاً من أقسام البيان آتية علي أكثر أصوله محيطة بجماهيــر فــصوله ، يعرف بها المبتدئ معانيه ويستغني بها الناظر فيه "

فهو لا يعجب بالجاحظ وصنيعه في بيانه لأنه ليس من عقله ولا من ذوقه فهو ليس من المتكلمين أرباب الفصاحة والبلاغة الذين لم تصل عقولهم إلي عقول أصحاب الفلسفة من حيث ترتيب المسائل البلاغية وتــصنيفها ووضــع أصولها وفروعها ، بل هو من المتفلسفة الذين رتبوا هذه المسائل ووضعوا أبوابها وفصولها ومقاييسها ومعاييرها . علــي أنه لم يكن متفلسفا فحسب بل كان متكلما وفقيها شيعيا تعمق

دراســـة علم الكلام والفقه الحديث ، وحاول أن يتأثر بها جميعا في مجــال عملــه ، ولكن الأثر الأهم كان للفلسفة وما يتصل بها من منطق وجدل وبحث في الخطابة والشعر ، ونراه يبتدئ كتابه بأن الله فضل الإنسان بالعقل دون غيره ويقسم العقل إلي موهوب ومكسوب علـــي طـــريقة الفلاســـفة ويستـــشهد علي العقلين بآيات من القرآن الكريم .

فهو منذ مطلع كتابه يمزج بين الفلسفة والقرآن ويخرج من ذلك إلي عـــرض وجوه البيان ، فيجعله علي أربعة أوجه ، فمنه بيان الأشياء بذواتها ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة واللب ، ومنه البيان الذي هو نطق اللسان وهو البيان بالكتاب وينسر كل وجه مـــن هـــذه الوجـــوه ، مستمداً ما أمكنه من القرآن والحديث والشعر وكـــلام أئمـــة الشيعة والفلاسفة ، ثم يعقد أبوابا يشرح فيها الوجوه الأربعـــة مـــن البيان ما هو ظاهر يدرك بالحس كتبيننا حرارة النار وبـــرودة الـــثلج ، ومنه ما هو باطن لا يدرك إلا بالعقل والعقل إنما يدركه عن أحد طريقين هما : القياس والخبر .

ويفتح بابا واسعا للقياس يستعيره استعارة من كتب المناطقة ويختمه بقوله : " هذه جمل في وجوه الاستدلال والقياس تدل ذا اللب علي ما يحـــتاج إليه ومن أراد استيعاب ذلك نظر في الكتب الموضوعية في المـــنطق فإنهـــا جعلت عمادا وعيارا علي العقل ومقومة لما يخشي

زلــلــه ، كما جعل البركار (البرجل) لتقويم الدائرة ، والمسطرة لــتقويم الخــط " ثــم يتحدث عن الخبر حديث فقيه شيعي ، فيجعله نوعــين : يقيــنا وتــصديقا ويجعــل اليقين ثلاثة أقسام هي الخبر المــستفيض المتواتــر وخبر الرسل وأئمة الشيعة المعصومين وما تواتــر بين الخاصة مما لم تشهده العامة . أما التصديق فيجعله خبر الآحــاد ويتحدث عن الظن واحتمالاته وأنه إذا احتيط فيه يقع موقع اليقــين ويتعــرض لأمــثلة من ذلك في قضية علي بن أبي طالب . وينــتقل إلــي البيان الثاني وهو الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكــرة واللب ، ويسميه الاعتقاد ، ويجعله علي ثلاثة أضرب : حق لا شــبه فــيه ومشتبه يحتاج إلي التثبيت وإقامة الحجة علي صحته وباطــل لا شك في بطلانه ويفيض في بيان الأضرب ويتعرض في الضرب الأخير السوفسطائية أنه لا حقيقة لشيء كما يتعرض للتضاد في أخبار الثقافات ، ويقول عن أئمة الشيعة إنه لا يقع منهم شئ من هذا التضاد لأنهم حكماء إلا أن يكون ذلك عن طريق التقية المعروفة في البيئات الشيعية وهي أن يقول الإنسان خلاف ما يعتقد حتى يقي نفــسه من العقوبة الظالمة . ويترك المؤلف البيان الثاني إلي البيان الــثالث الــذي هو نطق باللسان ويسمه العبارة ، ويقسمها إلي خبر وطلب ،يفسرهما مستعينا بما قرأه عند أرسطاليس في المنطق وفي وصــف عــبارة المأساة في كتابه " الشعر " إذ يقول : كالفرق بين

الأمر والدعاء والتقرير والتهديد والاستفهام والجواب " وهذا المبحث يتسع فيما بعد عند البلاغيين وهم يسمونه الخبر والإنشاء ويديرون عليه جزءا كبيرا من علم المعاني ويتحدث المؤلف عن الصدق والكذب في الخبر ، ويشير إلي ما يقوله الأشاعرة من أن الخلف في الوعيد من الله كرم ، ومعروف أن المحققين من المتكلمين يخالفون هذا الرأي ومعني ذلك أن المؤلف متصل بعلم الكلام كاتصاله بالفقه والتشيع والحديث وقد تحدث عن النسخ وقال إنه لا يكون في الخبر وتلك مسألة شيعية ونراه يخرج إلي أبواب لغوية لا شك أنه يقتدي فيها بأرسطاليس وما كتبه في الكتاب الثالث من مبحثه الخطابة وهو الخاص بالعبارة إذ يعرض في الفصلين الخامس والسادس منه لمسائل لغوية ونحوية ويظهر أنه اقترض منه كلمة العبارة التي سمي بها هذا البيان الثالث فقد أطلقها أرسططاليس من قبله علي الجزء الثالث من بحثه في الخطابة ، وهو الخاص بالأسلوب .

ونراه في إحدى المسائل التي عرض لها هنا ، وهي مسألة الرمز أو ما أخفي من الكلام يقول : قد أتي في كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شئ كثير وكان أشدهم استعمالاً للرمز أفلاطون . وهو هنا يخلط بين الرمز الأدني والذي ينشأ من كثرة الصور والاستعارات كما هو الشأن عند أفلاطون والرمز الآخر الذي يراد به التغطية والتعمير . ونراه يقول : (وفي القران من

الرموز أشياء عظيمة القدر جليلة الخطر ، وقد تضمنت علم ما يكون في هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات وممد كل صنف منها وانقضائه ... واطلع علي علمها الأئمة المستودعون علم القرآن) . وهو هنا شيعي واضح التشيع .

وهكذا نجده دائما يمزج مسائل البيان بثقافته الفلسفية وثقافته الشيعية والدينية وقد فتح بابا للمبالغة استمد فيه ، كما استمد قبله قدامة . من أرسطاليس وأتي بأمثلة من الشعر العربي والقرآن ليؤكد حسنها وجمالها بقوله : وقد ذكر أرسطاليس ذلك ، وذكر أنه مطلق لكل أحد احتاج إلي تسمية شئ ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الأسماء " وكأنه يبرر الألفاظ التي وضعها ليدل بها علي فنون البيان فمن حقه أن يضع ما يشاء من الكلمات والمصطلحات ويخرج من ذلك علي باب " تأليف العبارة " منها القصيد ، ومنها الرجز ، ويتحدث عن العيوب التي تغتفر للشاعر في لغته وموسيقاه ، ويعرف البلاغة تعريفا جامعا مانعا علي طريقة المناطقة ويعود إلي الشعر ويبحث في أن الرسول – صلي الله عليه وسلم – أقره وأباحه بل طلبه وأثاب عليه ، ويقول إن أرسطاليس ذكره في كتاب الجدل ، فجعله حجة مقنعة إذا كان قديما ، واحتج في كثير من كتب السياسة بقول أميرس شاعر اليونانيين .

ثـــم يعرض لفنونه ويجمعها في أربعة أصناف هي المديح والهجاء والحكمة واللهو ، ويحاول أن يرد الفنون الأخري إلي هذه الأربعة ، فمـــن المـــديح المراثي والافتخار والشكر واللطف في المسألة وغير ذلـــك مما أشبهه ومن الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء والتأنيب وما أشبه ذلك ، ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك وماثلـــه ، ومـــن اللهو والغزل والطرد وصفة الخمر والمجون وما جانس ذلك وقاربه .

وهـــو لـــم يرجع فنون الشعر إلي المديح والهجاء كما صنع قدامة ، ولكـــن نظن أنه اطلع علي كتابه وأنه رأي أن يجعلها أربعة بدلا من اثنتين وقد مضي يعرض لمحاسن الشعر ومعايبه متأثرا بصاحبه في بعـــض مصطلحاته ، بأن الكذب فيه أكثر من الصدق وذكر أن ذلك جائز في الصناعة الشعرية " وينتقل المؤلف من المنظوم إلي المنثور فـــيعقد لـــه بابـــا ويقول إنه أربعة أنواع : خطابة وترسل واحتجاج وحـــديث ويفـــيض فـــي الكلام علي الخطابة والترسل مقارنا بينهما وعارضـــا لمحاسنهما ومساويهما . ويفيد في حديثه عن الخطابة من كـــل ما كتبه الجاحظ عنها في بيانه ، أما الترسل فيفيد فيه مما كتبه ابن قتيبة والصولي عن أدب الكاتب ونراه يعرض للإيجاز والإطناب فـــيقول : " ممـــن اســـتعمل في قوله وكتبه الإيجاز والاختصار من القـــدماء ليهون بذلك حفظ كتبه علي من يريد حفظهما ويقرب علي

ناقل كتبه وأقواله نقلها أرسططاليس واقليدس فإنهما لم يأتيا في شئ من كلامهما بما يتهيأ لأحد أن يختصره أو يأتي بمعناهما بأقل من لفظهما وممن استعمل الشرح والإطالة منهم ليفهم المتعلم ويفضل المعاني جالينوس ويوحنا النحوي وكل قد قصد مقصدا لم يرد به إلا النفع والخير "

الفصل الثاني

الخطابة ونقدها عند اليونانيين :

بلغ الشعر منزلة عظيمة عند اليونان ، وكذلك فن الخطابة قد حظي عندهم بمنزلة كبيرة في حياتهم الفنية والسياسية . فقد كان السفسطائيون أو الحكماء – كما كانوا يسمون أنفسهم – هم الذين حولوا تلك المقدرة الكلامية أو موهبة الفصاحة واللسن إلي علم ذي قواعد وأصول ، ووجد في الآثينيين من يحرصون علي طلبه من الرجال والشباب ، ويبذلون في سبيل تحصيله ما غلا من الجهد والمال ، يدفعونه إلي أولئك المعلمين أو أولئك السفطائيين الحكماء لقاء تلقينهم أصول هذا الفن وقواعده علي أيدي هؤلاء العلماء المتخصصين .

وقد ساعد علي هذه النهضة الخطابية تلك الحرية الواسعة التي كان يتمتع بها الشعب في أثينا في سبيل البحث عن حياة سعيدة يتميع فيها كل فرد بما يشتهي في ظلال الديمقراطية التي ترفرف أعلامها علي ذلك المجتمع الحر ، وكان إلي جانب ذلك كثير من القضايا التي تشغل فكر المفكرين في نشدان الحياة الحرة الكريمة ، فهناك الحرب والسلام وقضايا المال والاقتصاد ، وقضايا السياسة ونظم الحكم وقضايا المجتمع المتطلع إلي الحياة السعيدة كما يتصورونها ، ثم قضايا الفكر الإنساني التي عبر عنها الإغريق في منطقهم وفي

فلسفتهم وفي آرائهم في الكون والحياة ، وفيما وراء الطبيعة ، وكانوا بذلك أساتذة للإنسانية في مختلف مواطنها بما مهدوا للفكر الإنساني ، وما أقاموا له من صروح المجد ، وما مهدوا له من أسباب النماء .

وكذلك كان ازدهار الجدل والخطابة في بلاد اليونان على السفسطائيين ازدهاراً لفن القول ، وصناعة البيان التي فلسفوها ، ورسموا لها مناهج الإجادة ووسائل الإتقان بعناصر ثقفوها من آثار فحول الخطباء وأعلام المتكلمين في عصور القوة والازدهار في تاريخ اليونان القديم.

ويذكر التاريخ عددا كبيراً من الخطباء الذين كان لهم ولخطابتهم أثر كبير في الحياة السياسية لليونان ، ومنهم " بركليس " ٤٩٠ – ٤٢٩ ق . م . الذي تلقي ثقافته الواسعة عن عدد من علماء عصره ، فتعلم الموسيقي على يد " دامون " الذي قيل إنه كان سوفسطائيا ماهرا ، يخفي نزعته الحقيقة عن العامة تحت ستار الموسيقي كما تعلم البلاغة والحوار والجدل علي يد " زينون " الذي وصف بأنه القدرة التي لا تغلب ، والقاهر في كل خصام ، وصاحب اللسانين كما تأثر " بركليس " بالفيلسوف اليوناني الكبير " انكساغوارس " الذي علمه البحث المنطقي والتفكير الهادئ وقد استطاع " بركليس " بما تعلم من علم ، وبما وهب من قدرة بارعة علي الخطابة والجدل والحوار ، أن يصبح زعيما سياسياً كبيراً ، وأن يقود الحزب الديمقراطي في

أثيـــنا ، وينتصر بعد نزاع طويل علي الحزب الأرستقراطي ، وأن يهـــزم زعـــيمه " كيمون " وأن ينفيه خارج البلاد لينفرد " بركليس " بالـــسلطة ويكتب لأثينا النصر علي أعدائها ، ويكون عصر بركليس هو العصر الذهبي في تاريخها ، وكان من أكبر أسباب نجاحه قدرته الخطابـــية ، فقـــد كان لسنا فصيحا يخطب الجماهير فيستولي علي مشاعرها ، ويسحر عقولها .

ومـــنهم " جورجياس " الذي ولد بمدينة ليونتينا بجزيرة صقلية سنة ٤٨٥ ق . م وقـــد جـــاء إلي أثينا سنة ٤٢٧ ق . م ، ليستحثها علي نـــصرة بلده ضد مدينة سيراكوز ، فخلب ألباب الأثينيين ببلاغته ، وقد اتخذه أفلاطون موضوعا لمحاورة من محاوراته ، إذ كان شيخا مـــن شيوخ السفسطائيين وكان يقرر في دروسه أن الحقيقة لا تكفي وحدها لتكون محوراً للخطابة ، بل إن الفصاحة وقوة البيان هي التي تجعل الخطيب قادراً علي استمالة الجماهير وجذبها إليه وكان يقول : (إن كل فكرة خلقية تختفي ، أو يجب أن تختفي ، في سبيل النجاح الـــذي يـــتوخاه الخطـــيب ويحرص عليه) ، هذا إلي جانب أسلوبه الخطابي الذي يتميز بتخير الألفاظ وتنسيق العبارة والعناية بزخرفتها والمبالغة في الصنعة ، حتي كان كلامه أشبه بالشعر .

ومن أعلام الخطباء " لوسياس " ٤٤٠ – ٣٨٠ ق . م وقد ذهب في صـــباه إلي مدينة ثوريون في جنوب إيطاليا ليتلقي دروسا في اللغة

والبيان علي يد السفسطائي المشهور " تيسياس " ثم عاد إلي أثينا ، وقد برع في كل صنوف الخطابة ولكن شهرته الفائقة ، كانت في الخطابة القضائية ، فقد كرس أكثر حياته للاشتغال بالمحاماة ، وكتابة الدعاوى للمتقاضين ، حتي عد أشهر المحامين في كتابة الدعاوى ، وذلك لقدرته الفائقة علي تقمص شخصية موكله ، وفهم ظروفه ، والتشبع بروحه إلي درجة أنه كان يستطيع محو شخصيته محواً تاماً ، وكان أسلوبه يمتاز بالبساطة والجمال ، حتي وصفه القدماء ، بالسحر والجاذبية ، لأنه كان يمتاز برشاقة التعبير ، ونقاء اللفظ ، ووضوح المعني .

وعاصر لوسياس " خطيب أخر كان يكتب خطبه ولا يلقيها ، ذلك هو " إسقراط " الذي أخذ يستحث دويلات اليونان أن تمتشق الحسام ضد الفرس ، ووجه دعوته إلي مقدونيا ، فلما أن رأي مقدونيا تستغل ما غنمته من حروب الفرس في تدبير جيش يخضع أثينا نفسها ندم " إسقراط " علي دعوته إياها ، وكفر عن سيئته بأن حرم علي نفسه الطعام حتى مات وأهم خطبة له الثناء علي أثينا "

وأما أعظم خطباء اليونان جميعا فهو ديموستنيس " ٣٨٤ -٣٢٢ ق.م وقد بلغت قدرته علي الخطابة مبلغا أغري الرواة أن ينسجيوا حولها الأساطير ، فقالوا مثلا : أنه قوم لسانه بوضع الحصي في فمه والصياح بذلك الفم المملوء علي شاطئ البحر ، ومهما يكن من أمره

فقــد كانــت بلاغــته تفتن السامعين وقد أهتم اهتماما بالغا بدراسة الخطابة فاطلع علي خطب اسقراطيس ، وتتلمذ علي ايسايوس الذي كان من أشهر رجال القانون ، وأبرعهم في كسب قضايا الميراث ، فتعلم عنه أصول الخطابة ، وأفاد من علمه وخبرته بالقانون ،وتأثر بــه تأثــرا واضحا في الخطب التي ألقاها ضد الأوصياء ، وخطبة الباقيات نماذج من النثر الممتاز ، وكان رأيه السياسي أن تقود أثينا بلاد اليونان كلها ، وأن تحكمها حكما صالحا ولذلك خاصم " فيليب " المقدونـــي أبــا الاســكندر الذي كان يري استئثار مقدونيا بالسلطة والحكم في بلاد اليونان وكان أشهر خطب " ديموستينيس " ما وجهه إلي أهل أثينا ليحرضهم علي " فيليب " المقدوني الذي كانت جيوشه تجتاح مدائن اليونان ممهدة لابنه الإسكندر الأكبر أن يقيم دعائم ملكه ومـــن أجل هذه الهجمات القوية العنيفة التي وجهها " ديموستينيس " إلـــي فيليب سمي هذا اللون من الخطابة " الخطابة الفيلبية " ولا شك أن أولئك الأعلام وبقاء آثارهم الخطابية في الزمن أبلغ دليل علي أن الخطابــة عــند الــيونان قد ارتقت رقيا عظيما وذلك بفضل توافر الدواعـــي والأسباب ، وبفضل النظام الديمقراطي والحرية الواسعة التي كانوا يتمتعون بها .

كانت الخطابة السياسية تنتهي عندهم بأخذ الأصوات من السامعين ، وكـــان القــضاة يصدرون أحكامهم بعد سماع الخطب من غير بيان

أسباب ، وكان نظام التقاضي لا يفيد القضاة بقوانين يطبقونها ، وكان هـذا سببا في اعتماد الخطابة علي إثارة المشاعر أكثر من اعتمادها علـي بـيان الأسباب والعلل المنطقية وكان ذلك أيضا سببا من أهم الأسـباب في اعتماد الخطابة علي فن البلاغة ، وعلي أساليب البيان أكثـر مـن اعتمادها علي شئ آخر فكان الخطباء ينمقون عباراتهم ويـستعملون أساليب المجازات والاستعارات حتى يجتذبوا بعبارتهم الـضخمة مشاعر الجمهور والقضاة وقت إلقاء الخطب ليصوتوا لهم عقـبها ، فالمصنوتون في المجالس السياسية ، والقضاة في المحاكم كانـوا علـي درجة كبيرة عرضه للتأثر الوقتي ، والانفعال بمظهر الخطـيب وفـصاحته وذلاقـة لسانه . وفي أثينا كان محظورا علي المحامين أن يتولوا الدفاع عن غيرهم وكان النظام يقضي أن يترافع المتقاضـون عن أنفسهم فاضطر المحامون وبلغاء اليونان أن يكتبوا الخطب للمتقاضين ، ويعطوها لهم ليستظهروها ويلقوها أمام القضاة ولـذلك أصـبح فن الخطابة صناعة فاشية في البلاد لها قيمة كبري ورواج عظيم ، كما أدي هذا إلي ارتقاء لغة العامة وتساميها نحو لغة الأدب التي تمتاز بفنيتها وقربها منها .

ومـن أجـل هذا كله ارتبط عندهم علم البلاغة بفن الخطابة ارتباطا وثـيقا ، وكان أكثر ما ينظر في استنباط قواعد البلاغة وتدوينها إلي عيون الخطب التي أثرت عن أعلام الفن الخطابي .

ولــذلك يمكن القول بأن البلاغة وقواعدها وفنونها الكثيرة مدينة إلي حــد كبير للخطابة والخطباء الذي ازدهر الفن الأدبي علي أيديهم ، وجعلوا النجاح في الخطابة يعتمد علي فصاحة النسان ، والقدرة علي إيــراد الحجــج التــي تؤثر في النفوس ليكون من هذا التأثير وسيلة لإقــناع العقــول ، بــصرف النظر عن الأدلة اليقينية ، والبراهين المنطقية .

وكثيــرا مــا تعــرض الخطباء كما تعرض السفسطائيون معلموا الخطابة لضروب من النقد الذي كان يقف في كثير من الأحيان عند عــبارات الازدراء والتحقير واتهامهم باتخاذ المعرفة التي تعلموها ، واللــسن والفــصاحة التي وهبوها وسيلة لابتزاز الأموال ، إذ كانت المنفعة هي ما تدور عليه فلسفة السفسطائيين ، والمنفعة في فلسفتهم هــي الحقيقة التي لا حقيقة وراءها ، وما سواها من البحث المجرد الذي لا يخدم الإنسان ولا يحقق له منفعة جدير بأن يطرح ... ولذلك كانــوا يعلمــون الشباب أن الرجل البليغ هو الذي يستطيع أن يجلي فكرته ، وأن يدافع عنها ، بصرف النظر عن كونها حقا أو باطلا ، ولا ســبيل لتحقــيق هــذه الغايــة إلا بمحاولة التغلب علي الخصم بــضروب مــن المغالطات ، وبالتلاعب بالألفاظ وكان هذا سببا من أســباب ازدهــار فــن الجدل ، كما كان سببا من أهم الأسباب في ازدهار فن القول ، وفي بناء صرح التفكير البلاغي نتيجة لازدهار

دولــة الكــلام والقياس علي إصابة الخطباء وقهرهم خصومهم في مــيادين الجــدال بصرف النظر عن مقاييس العلم وقيود الأخلاق ، وهــذا مــا أدي إلي استقلال الفن الخطابي وانفراده عن لغة التفاهم ولغة التفكير الفلسفي الذي يسعي إلي الحقيقة ولا يرضي عنها بديلا إذ كــان موضــوع وكــل فكرة صالحة لتناول السفسطائي وتناول الخطب فإذا كان للموضوع جانبان - وقلما يخلو موضوع من تقلبه بــين وجهتــي نظر ، بحسب تصور المتناولين له من حيث المنفعة وعــدمها ، ومن حيث درجة النضج في التفكير ، ومن حيث التمسك بالحــق أو محاولة التحلل من قيوده - فإن السفسطائي قادر علي أن يجلي الجانب الراجح ويزيده وضوحا وجلاء ويعترف له بالبراعة إذا استطاع أن يدفع عن الجانب المرجوح ، وأن يجلو الشك فيه ويصل بــه إلــي مرتبة اليقين الذي لا ريب فيه ولهذا بعدت الخطابة بأدلتها الخطابية عن دائرة العلم الذي يجد أسبابه في الطبيعة وتقرره الطبيعة وتــصدقه وبقيت الخطابة كما يقول " سقراط " معتمدة علي الغرض الذاتــي أو الغــرض الفردي لأنها تعبر عن أصحابها وعن ميولهم وأهــوائهم . وظلت تعتمد علي العادة والمران والتدرب حتى يصل صــاحبها إلي درجة الإتقان وقد حمل سقراط علي السفسطائيين وإن كــان قدوتهم بأنه واحد منهم وبأنه يعلم تلاميذه كيف يجعلون الباطل حقا والحق باطلا .

كمــا حمــل علــيهم وعلي سائر الخطباء تلميذه أفلاطون الذي حكم أصول فلسفته الأخلاقية في رسالة الخطابة وواجبها ، فإذا كان العدل فــي طليعة الغايات التي تسعي إليها الإنسانية وينبغي أن يتحقق في العــالم الــسعيد ، فينبغي أن يعلم كل إنسان بما يملك من طاقة علي تثبــيت العدالــة ، والغاية الأولي للخطيب القضائي هي إبراز الذنب الــذي ارتكب ضد العدالة والتكفير عنه ، ومعني هذا أن أفلاطون لم يحمــل علي فن الخطابة حملة تامة ،بمعني أنه فن مرفوض ابتداء ، ولكــنه حمل علي إساءة استعماله عند السفسطائيين ، وقال بوجوب تنقيته من ذلك التمويه السفسطائي ... والخطابة لازمة لكي يمكن نقل الأفكــار الفلسفية إلي أذهان العامة ، ولكي يستطيع الإنسان أن يقنع الجمهــور بالحقائق التي لا يمكنه أن يقتنع بها عن طريق المنطق ، لعسر فهمه ، لهذا جعل أفلاطون الخطابة جزءا من مواد التعليم في الأكاديمــية لكــنه حذر دائما من استعمال البراهين الخطابية ، ومن إســاءة اســتعمال الخطابة ومن استعمالها في التفكير الفلسفي بوجه خاص .

وكذلك يري أفلاطون أن الخطابة كانت تعتمد علي اللسن والفصاحة وقــوة المعارضة فينبغي أن تعتمد علي " قوة النفس " والنفس ينبغي ألا تــتجه إلا إلي السعادة والبحث عنها ، ولا سبيل إلي السعادة إلا بالفضيلة المطلقة ، الفضيلة هي الحقيقة التي لا معدل عنها ولا نزاع

فـــيها والـــبحث عنها هي مهمة الإنسان الفاضل ... وهذه هي فكرة أفلاطون في الخطابة وغايتها ، وهي كما يري غاية أخلاقية قبل كل شئ وهي الفكرة الجديرة بالفيلسوف الأخلاقي .

مفهوم الخطابة عند أرسطو

تحـــدث أرسطو في أول كتابه عن الخطابة وعلاقاتها بالجدل ، فهي متصلة به أشد اتصال ، فكل منهما يخاطب الغير ويحاول إقناع الغير ولا يستعمل الإنسان صناعتي الجدل والخطابة فيما بينه وبين نفسه ، كمـــا هـــو الحال في صناعة البرهان وكلاهما – الخطابة والجدل – يعنـــي بأمـــور يمكن معرفتها من غير ضرورة إلي نوع خاص من المعـــرفة لأنهـــا أمـــور يمارسها كل الناس ويعرفونها ويلجئون إلي الخطابـــة والجـــدل مع اختلاف حظهم في الإصابة والتوفيق ، وفي استطاعة كل واحد من الناس أن يدافع عن نفسه أو عن رأيه وكذلك في مقدوره أن يتهم غيره ، أو أن يفند رأيه .

ويعتـــرف أرسطو بأن في الناس من يمارس الخطابة والجدل فطرة وســـليقة مـــن غير حاجة إلي تعليم أو توجيه كما أن بعض الخطباء يمارســـونها بالمـــرانة التي اكتسبوها من مقتضيات الحياة ولكن من الواضح أن تكون هناك طريقة احتذوها في خطابتهم وأن يكون هناك مجـــال للتوجيه ومجال للنظر في العوامل التي تؤدي إلي نجاح هذا العمل المنساق بالعادة أو المندفع بالفطرة والسليقة أي أن هناك حاجة إلي تعلم الخطابة ومعرفة أصولها ووسائل النجاح فيها .

إذا كـــان سقراط وتلميذه أفلاطون قد حملا علي الخطابة والخطباء ، فـــإن أرســـطو لم يقف من الخطابة هذا الموقف ، بل ظهر استقلال

رأيـــه في الإشادة بهذا الفن وضرورته في المجتمع الإنساني وفائدته له : -

١) لأن مهمـــات الخطابة إحقاق الحق وإقرار العدل ، وهما بالطبع يؤثران علي الباطل والجور .

٢) ولأنه ليس من الميسور أمام الجماهير وغمار الناس أن نصل إلي الإقناع بالعلوم ، ولو اعتمدنا علي أدقها ، لأن العلم مستمد من النظر وهو صعب التطبيق في الموقف الخطابي .

٣) والخطـــيب ينبغـــي أن يكون مستعدا للدفاع عن الموضوع وعن نقيـــضه ولـــيس هناك فن آخر غير الخطابة والجدل يمكن أن يصل بمعونة القياس المنطقي إلي نتيجة متناقضة .

٤) من سخرية الإنسان بنفسه أن يعطل جوارحه ، بخاصة إذا كانت هـــذه الجارحـــة هي اللسان والبيان الذي يتميز به الإنسان من سائر المخلوقات . ولا يعترض علي هذا بأن القدرة البيانية قد تمضي إلي الضرر أو الإيذاء ، لأنه اعتراض لا يوجه إلي الخطابة وحدها ، بل يـــوجه إلي كل خير ، وهذه كلها تؤدي إلي الخير إن حسن الانتفاع بها ، وهي كلها شرور عاقبتها الشر لو أسئ استعمالها .

والخطابة لا تختص بنوع بذاته ، ولكنها تصلح لكل شئ شأنها شأن الجـــدل ، ومنفعتها ليست في الإقناع وحده بقدر ما هي في كشف ما يكون عليه الأمر في كل موضوع علي حده ، شأنها شأن الطب مثلا

مـــن بين سائر الفنون فليست مهمة الطب منح الصحة بل يستهدفها بقـــدر المستطاع ، ومن حرمها لا يحرم من عناية مجدية تؤدي إلي تحسين حالته .

وبهـــذا الدفاع استطاع أرسطو أن ينصف الخطابة والخطباء . وأن ينتصر لهم من الذين تصدوا لهم من الفلاسفة والشعراء الذين شوهوا فنهم وأثاروا عليهم الجماهير ثم يعرف أرسطو الخطابة بأنها " القدرة علي النظر في كل ما يوصل إلي الإقناع في أية مسألة من المسائل " أو هـــي القوة التي تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفـــردة " وهذه خاصة لا توجد في أي فن من الفنون الأخرى لأن غاية كل فن هو التعليم الملزم بكل ما يتعلق بموضوعه خاصة .

أمـــا الخطابة فإن موضوعها في أية مسألة من المسائل من ناحية ما يوصل إلي الإقناع وهذا يحملنا علي القول بأن الخطابة لا قواعد لها تطبق علي نوع معين من الموضوعات .

المذاهب الأدبية والنقدية في أوربا

إلي نهاية القرن التاسع عشر

نشأة مذاهب الأدب في الغرب

من الأهمية بمكان أن ندقق النظر في كيفية نشأة المذاهب الأدبية عند الغـــربيين ، وذلك لكي نتبين إلي أي حد عملت إرادة الأدباء والنقاد فـــي نـــشأة تلـــك المذاهب ، وإلي أي حد سبق إليها الأدب باعتباره وســـيلة التعبير عن حالات نفسية أو أوضاع اجتماعية تتغير فيتغير تـــبعا لهـــا الأدب وتتغيـــر مذاهبه ،كل هذا لكي ندرك إلي أي حد نـــستطيع أن نفيد بإرادتنا من تلك المذاهب ، وإلي أي حد لا نستطيع تلك الإفادة ما دامت ظروفنا وحاجاتنا النفسية والروحية تختلف عن الظـــروف والحاجـــات التي دفعت إلي ظهور هذا المذهب الأدبي أو ذاك عند الغربيين .

وفـــي الحقيقة أن الإجابة علي هذه الأسئلة لا يمكن أن تكون بسيطة مـــوحدة ، وإنما تختلف باختلاف مذاهب الأدب المتباينة ، فمن تلك المـــذاهب مثل الكلاسيكية ما يستند في جوهره إلي عدد من الأصول الفنـــية التي استقاها الأوربيون بعد عصر النهضة ، إما عن طريق محاكاة أدباء وشعراء الإغريق والرومان الأقدمين ، وإما عن طريق المبادئ النظرية التي استخلصها أرسطو من روائع الأدب الإغريقي وجعل منها أصولا فنية عامة .

وذلك بينما نري الرومانسية تتميز بالثورة علي كافة الأصول والقيود بخاصـــة الكلاسيكية ، كما تعتبر حالة نفسية خاصة وتعبيراً عن تلك الحالة ، ولذلك لا يوصف بالرومانسية الأدب الصادر عنها فحسب ، بـــل يوصف بها أي شخص – أديبا كان أو غير أديب – إذا تميزت نفسه بلون خاص من جموح الخيال وسرعة الانفعال وشدته ، والميل إلـــي التمـــرد والشكوى والتشاؤم ، فيقال رجل رومانسي كمال يقال أدب رومانسي ، بينما لا يوصف بالكلاسيكية إلا أدب أو فن خاص ، حتـــى ليمكن القول بأن الرومانسية حالة نفسية أكثر منها مذهبا أدبيا أو فنيا .

ثم أن كل مذهب أدبي يتضمن صوراً أو خصائص وأصولا فنية كما يحـــتوي علـــي مضمون أو مادة ، وإذا كانت الصور والخصائص والأصـــول تعتبر مسائل عامة مجردة فإن المضمون أو المادة يغلب أن تكـــون مـــسائل خاصة وثيقة الصلة بشخصيات الأدباء وأزمانهم وبيئاتهم الثقافية والاجتماعية – علي تفاوت في النسب – بحيث يمكن أن تستعار أو تحاكي الصور والأصول لتطبق أو تستخدم في صياغة أو تشكيل أي مضمون ، أو أية مادة ينتزعها الأديب من نفسه أو من مجتمعه ، بحيث لا يعتبر الأخذ بها تنازلا عن الشخصية الفردية أو القومـــية ، وإنما هي مبادئ فنية يهتدي بها الأديب في صياغة مادته الخاصة وتحويلها إلي فن جميل .

عصر النهضة والمذاهب الحديثة للأدب في أوربا :

تعرضـــت أوربا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر لأحداث هامـــة كانـــت سببا في إحداث كثير من التغييرات التي طرأت علي جميع مجالات الحياة فيها ، وكانت إيطاليا هي أسبق الدول الأوربية فـــي الانتفاع بهذه التحولات ، فلقد تجمعت فيها عدة عوامل ساعدت علي القضاء علي النظام الفكري الذي كان سائدا في القرون الوسطي وعملـــت علـــي صياغة فكر جديد ، أخذ ينتشر في الدول الأوربية الأخرى في أشكال تلائم كل قطر من أقطارها .

ولقـــد كـــان للحروب الصليبية أثرا في تأثر الأوربيين بثقافة العرب وقـــد نقـــل هـــذا التأثير إلي أوربا ، كما نقل إليها تأثير عربي آخر يتمـــثل في الثقافة العربية التي كان موطنها الأندلس ، وقد نقل عن طـــريق التأثيـــر العربي الذي حدث في صقلية وجنوب إيطاليا .... ومن ثم عرفت أوربا التراث العربي في مجالاته المختلفة .

وخلال العصور الوسطي ، وأثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يجد الأوربيون أمامهم إلا المنهج الإغريقي الذي انعكس أثره علي الأدب الروماني ، فتعلق الأدباء في إيطاليا وألمانيا وإنجلترا وأسبانيا. وفرنـــسا بالـــنماذج العالمية من أدب اليونان والرومان وحذوا حذو هـــؤلاء في الشعر والنثر طوال تلك الفترة ، وظلت الأفكار اليونانية تسود الأدب الأوربي وتتحكم في أذواق الأدباء .

وقد توافرت عوامل عديدة ودوافع كثيرة دفعت بكل من إيطاليا وألمانيا وإنجلترا لأن تتنكر لهذا التقليد ، وأن تتمرد علي تلك التبعية الفكرية والشعورية ، وأن تعرف طريقها إلي الاستقلال والوحدة الأمر الذي حمل كلا منها علي أن تلتمس لها أدباً مستقلا يدوح في ظل الوحدة ، ويعبر عن آمال الشعب وآلامه .

والمذاهب الأدبية في أوربا تقوم علي فلسفة وهدف يحدثان تحولا ملموسا في المجال الشعوري لدي الأدباء .... والذي لا شك فيه أن هذه المذاهب قد تنوعت تنوعا عجيبا في أواخر القرن التاسع عشر وقد اتسع نطاقها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولي (١٩١٤ – ١٩١٨) لدرجة تجعلنا نقول إن اختلافا بسيطا في فكرة من الأفكار كان كافيا لأن ينشئ مذهبا أدبيا جديداً يلتف حوله الأتباع وعشاق التجديد .

ونحن لسنا بصدد حصر كل هذا الحشد من المذاهب الحديثة التي جدت في الأدب الغربي ، لأن هذا سيسلمنا إلي طريق لا نهاية له وسنتحدث هنا عن أشهر المذاهب التي نشأت في الآداب الغربية والتي أفسحت لها هذه الآداب صدرها لملاءمتها لطبيعة الفترات التي نشأت فيها .

أولا: المذهب الكلاسيكي

بـــدأ ظهـــور الكلاســـيكية الأوربية في عصر النهضة بترجمة (فن الـــشعر) لأرســـطو و (فـــن الشعر) لهوراس ، وبالتأليف في فن الـــشعر علـــي نهج هذين الكتابين وبمحاكاة الأقدمين من اليونانيين والرومانيين .

غيـــر أن معالمهـــا لـــم تتضح ، وقواعدها لم تكتمل ، إلا في القرن السابع عشر علي يد أمثال (بوالو) في فرنسا ، ثم (جون دريدن) في انجلترا .

والمذهب الكلاسيكي مذهب اتباعي محافظ ، يعتمد علي تمجيد القديم وتقليده ومحاكاته في المنهج والصياغة والتفكير والأسلوب .

ويجمـــع آراء المختلفـــين فـــي تحديد خصائصه ، إنه مذهب يتميز بالـــصياغة المتقـــنة ، والميل إلي روح النظام والضبط ، والاعتماد علي الفكر والقريحة دون الانفعالات العاطفية .

والأدب الكلاســـيكي يعـــتمد علـــي (العقل) لاتزانه وصدق حكمه فالعقلية هي أساس فلسفة الجمال في الأدب ، والعقل هو الذي يعتد به فـــي الأحكـــام الأدبية والجمالية ، لأنه يرادف الذوق السليم والحكم الـــصحيح ، ولأنـــه ثابـــت غير متغير وهو ينشد الحقيقة ، ويعالج المألوف مما يمكن تطبيقه في كل مجتمع ، فالأدب عند الكلاسيكيين انعكاس للحقيقة ، والحقيقة لا تتغير في كل زمان ومكان .

وهو أدب أرستقراطي يقصد إلي إرضاء السادة والطبقة الأرستقراطية ولا يتجه إلي سواد الشعب ، بل إنه يقصر الفن علي الصفوة ، ويحقر البرجوازيين وسواد الناس .

كما أنه ينتصر للمجتمع علي حساب الفرد ، ويدافع عما استقر فيه من أوضاع وقيم وتقاليد ، وفيه تمحي الذاتية تحت سلطان المجتمع الارستقراطي والغاية من الأدب الكلاسيكي خلقية تستهدف الفائدة الأخلاقية من خلال المتعة الفنية

ويعد (البارودي) زعيم المدرسة الكلاسيكية في أدبنا العربي ، بمحاكاته للشعراء الأقدمين في المنهج والصياغة ، ومعارضاته لهم في البحور والقوافي ، كما يقول :

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويلعب

محاكيا الشريف الرضي في قوله :

وقور فلا الألحان تأسر عزمتي ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب

كذلك نري (شوقي) كلاسيكيا في مثل قوله :

ريم علي القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

و(الجارم) يستهل قصيدته إلي الأمام (محمد عبده) بقوله:

المجد فوق متون الضمر القود تطوي الفلا بين إيجاف وتوخيد

فنري الكلاسيكية في هذه الصورة البدوية بشكلها ومضمونها .

وقد تأثرت الآداب الأوربية في عصر النهضة بالكلاسيكية التي اكتملت معالمها في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، باحتذاء

الآداب اليونانية واللاتينية .كما تبادلت هذا الآداب التأثر والتأثير يفرضه العصر علي الأمة ، حين تنهض من تخلفها وتستفيق من سباتها ، فلا تجد إلا ماضيها ، تستلهمه وتحتذيه ، علي نحو ما حدث في مطلع نهضتنا الأدبية علي يد البارودي زعيم الكلاسيكية العربية إلا أن أدبنا العربي قد تأثر إلي حد ما بالكلاسيكية الأوربية ،اختارها أول الأمر لملاءمتها لظروف العصر وتقاليده فما من شك في أننا اعتمدنا علي المسرحيات الأوربية في بدء نهضتنا المسرحية بترجمتها وتعريبها أو اقتباسها قبل أن ننشئ المسرحيات الأوربية الكلاسيكية والتأثر بها ، كما رأينا في بعض مسرحيات الحكيم . فكم ترجم خليل مطران عن المسرح الكلاسيكي ، كما ترجم غيره ومما ترجمة عن المسرح الفرنسي رواية (سنا) ورواية (السيد) للكاتب الفرنسي (كورني) وترجم شكسبير(عطيل)و(مكبث) و(هملت) و (تاجر البندقية) ونحن نذكر كيف تأثر شوقي بفن (لافونتين) في القصة الخرافية علي لسان الحيوان وكيف تأثر في المسرح الشعري بالمسرحيات الأوربية في خلق هذا الجنس الأدبي وكيف تأثر بالمواقف والأفكار الكلاسيكية كتأثره بالطابع الكلاسيكي عنده. (دريدن) في بدء المسرحية من قرب نهاية الأحداث وكتعدد الحلول وازدواج الحدث ، كما هو مألوف في مسرحيات الرعاة الأوربيين

وهكـــذا يتجلـــي التأثـــر الكلاسيكي في الأدب العربي بنقل الأجناس الأدبية ومحاكاتها ، والتأثر بمواقفها وأفكارها .

ثانيا : المذهب الرومانتيكي

مـــصطلح الـــرومانتيكية غير دقيق في إطلاقه علي. المذهب الأدبي الجديد الذي ثار علي النزعة الكلاسيكية وعلي هيمنة العقل وسلطانه إنمـــا الكلمة مأخوذة من Roman التي كانت تدل قديما علي قصص المخاطـــرة والمغامـــرات شـــعرا كانت أم نثرا في حين أن المذهب الجديـــد يـــدل علـــي الحـــرية الأدبية وعلي انطلاق مشاعر النفس والوجدان الفردي وإطلاق عنان العواطف وظهورها ظهوراً قويا في الإنـــتاج الأدبـــي ، ومن ثم وجدنا شعراء هذا المذهب يكثرون من الـــشعر الغنائـــي علـــي عكس ما كان الحال عند شعراء الكلاسيكية والسبب في ذلك أن شعراء الرومانتيكية لما كان شأنهم أنهم يريدون أن يعبـــروا عـــن مـــشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه المجتمع نجدهم لا يخـــضعون لقاعدة المحاكاة التي اعتنقتها الكلاسيكية والتي نادي بها من قبلِ أفلاطون وأرسطو والذي يجب ألا يغيب عنا هو أن المذهب الرومانتيكـــي مـــذهب مضاد للكلاسيكية فلقد قام علي أنقاضها وثار علي قواعدها لما رآه في هذه القواعد من قيد لا فكاك منه ومع ذلك فالذي يجب أن نكون علي ذكر منه أن الرومانتيكين لم يتمردوا علي القـــواعد التـــي مـــن شأنها أن ترشد الفن وتعينه علي أداء وظيفته الجمالـــية فالفن الذي يتنكر للقوانين والقواعد التي من شأنها الإرشاد

والتوجيه سرعان ما يتحول إلي فوضي لا يحكمها نظام ولا يضبطها ضابط كما نري في الشعر الحر الذي ساد عصرنا الحاضر .

والمذهب الرومانتيكي يقوم علي أصول تلائم طبيعة الأدب المتطور تبعا لتطور الأفكار في فهم الحياة ونظم الطبيعة ثم ما لبثت هذه الأصول أن استقرت في الإنتاج الأدبي نقده علي نحو جديد مختلف نذكر من هذه الأصول .

١) المذهب الجديد يقوم علي الفلسفة العاطفية ويجحد ذلك الاتجاه العقلي الذي مجده الكلاسيكيون ويستبدل به العاطفة والشعور ، وهم يسلمون قيادهم للعاطفة والقلب ، لا إلي العقل والتفكير.

٢) وإذا كان الأدب الكلاسيكي يعتمد علي العقل وينشد الحقيقة العامة فإن الرومانتيكين يستبدلون بهذه الحقيقة الجمال في معناه العاطفي الإنساني . فالجمال وحده هو ما ينشده الرومانتيكيون ... وهم بهذا يعارضون مبادئ بوالو التي تنشد الحقيقة .

ونتيجة لتنكر الرومانتيكين للحقيقة العامة ونشدانهم للجمال في معناه العاطفي الإنساني نجدهم يرون أن الأدب استجابة للعواطف والعواطف عندهم هي محل الجمال النابع من الضمير ، وقد صوروا في أدبهم عالم الجمال في أحلامهم يريدون أن يثوروا به علي شروط المجتمع من حولهم ... وهكذا كانت الرومانتيكية مذهبا متمردا .

٣) ويقــرر الــرومانتيكيون أن مهمة الأدب أن يهاجم الأرستقراطية وأن يــثور علـــي أوضاع المجتمع ، ويغرس بذور الرحمة والأدب علـــي الضعفاء وأن يحمل لواء العدل وينافح عنه وأن يدفع الشعب إلـــي كــل مـــا يرفع من قيمته في مجالات الحياة السياسية كانت أم جماعية .

٤) والــرونتيكيون يدعون إلي ظهور لون جديد من الأدب يعلي من شـــأن الطــبقة الوســطي المظلومة ويرد إليها ثقتها وعدالة المجتمع ورحمـــته وذلــك بالــدفاع عن المخطئ لأنه ضحية المجتمع الظالم وبالاعـــتذار عن الجرائم النفسية والاجتماعية التي هي ضع القوانين الجائرة والمنداة بعدالة . اجتماعية لتعالج تلك الأمراض وقد جرهم هـــذا المبدأ إلي التصرف في أعمالهم الأدبية للوصول إلي الأهداف التي ينزعون إليها وهذا هو ما يسمي بالخيال أو الجنوح فيه .

٥) وفي هذا الإطار ونتيجة لما تقدم انحصرت مهمة النقد الأدبي في نقــد النــصوص وتفــسيرها علي أساس علاقاتها بأصحابها الذين ابتكروها أو علي أساس ما يطرأ علي هذه النصوص من تأثر الأديب أو تأثيره في العقيدة والعادات والقوانين كما نجد سانت بوف ١٨٠٤ – ١٨٦٩ فهو في شتي أطواره كان التحليل النفسي والتاريخ الأدبي والنظــرة الاجتماعـــية وسيلة من وسائله الكثيرة في فهم النصوص الأدبـــية وتقـــويمها ونقـــدها ووظيفة النقد عنده هي النفاذ إلي ذات

المؤلــف لتشف روجه من وراء عباراته ، بحيث يفهمه قراؤه وفي ذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب أو كما يقول هو يجب أن يؤخذ مــن دواة كــل مؤلف الحبر الذي يراه رسمه به " فالنقد " علي حد تعبيــره – يعلــم الآخرين كيف يقرؤون " ولذلك كان علي النقد أن يــتجاوز القيم الجمالية العامة إلي بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف(١)

(١) الأدب المقارن د / غنيمي هلال صـــــــــ ٥٣ ، ٥٤

المـــــراجـــــع

١) ابن الرومي – حياتــه من شعـــــره

٢) اتجاهات وآراء في النقد الحديث د / محمد نايل

٣) الأدب ومذاهبه د / محمد مندور ط نهضة مصر

٤) أســس الــنقد الأدبــي عــند العــرب د/ أحمــد بــدوي طــ نهضة مصر

٥) أصول النقد الأدبي / أحمد الشايب

٦) الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني ط دار الكتب

٧) الأمالي / أبو علي القالي ط بيروت

٨) البيان والتبيين / عمرو بن بحر الجاحظ

٩) تاريخ النقد عند العرب / أحمد الشايب

١٠) الخطابة في صدر الإسلام / محمد طاهر درويش

١١) خلاصة علم النفس / الأهواني

١٢) دلائــل الإعجــاز للإمــام عــبد القاهــر الجرجاني تصحيح وشــرح وتعلــيق أحمــد مــصطفي المراغي المكتبة المحمودية التجارية

١٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري

١٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي

١٥) عبقرية عمر / عباس العقاد

١٦) العمدة / ابن رشيق القيرواني ط دار الجيل

١٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي د / شوقي ضيف ط دار المعارف

١٨) في علم النفس د/ حامد عبد القادر

١٩) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف

٢٠) معالم النقد الأدبي د / عبد الرحمن عثمان

٢١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب / أحمد ضيف

٢٢) مقدمة شرح ديوان الحماسة / المرزوقي

٢٣) الموازنة بين الطائيين / الآمدي

٢٤) الموشح – المرزباني

٢٥) نصوص نقدية / محمد السعدي فرهود

٢٦) النقد د/ شوقي ضيف ط الخامسة ط دار المعارف

٢٧) النقد المنهجي عند العرب / محمد مندور ط نهضة مصر

٢٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه / القاضي الجرجاني

الفهـــرس

تم والحمد لله ،،،

